المدينة المتاهة

الكـــاتب: رضوان شكري

ⵕⵉⴹⵡⴰⵏ ⵛⴽⵔⵉ

© كل الحقوق محفوظة 2014

www.bubok.es/autores/redouane

إهـــــــــــــــــــداء

من أعماق قلبي أهدي هذا الكتاب إلى إلاهي الذي لا يعجزه شيء والذي منحني النور ليضيء طريقي، والقوّة لتجاوز اللحظات الصعبة وتحقيق حلمي، وأهديه إلى أمّي العزيزة رقية لخليلي التي أفنت شبابها لتربيتي، وإلى أبي عبد المجيد شكري مفتاح تعليمي الذي جعلني كاتبا، وأهديه إلى إخوتي الذين يساعدونني باستمرار، وأهديه إلى زوجتي الطيّبة وكل أفراد أسرتها، وأهديه إلى كل أفراد عائلتي وخاصة ابن عمّتي نبيل الوعزيزة الذي يؤازرني دائما، والذي أتمنى له كل الخير في حياته، وأهديه إلى عائلتي الاسبانية التي تقاسمت معها الكثير من الأوقات التي لا تنسى ذاكرا أسماءهم: لويس، جوي، فرناندو وفكتور. كما أهديه إلى بالوما موراتيا وكارلوس أرييل سایاكو اللذان يعملان براديو لوس نافال موراليس نظرا لمساعدتهما لي، وأهديه أيضا إلى جميع أساتذتي بالمغرب واسبانيا الذين كانوا بذرة معارفي، وطبعا أهديه إلى جميع القراء الأعزاء.

رضوان شكري لخليلي

تقديم

أربعة أصدقاء من العاصمة مدريد، حاصلين على دبلوم في الهندسة المعلوماتية من الجامعة الاسبانية، ومعهم محقق خاص، قرروا السفر إلى مدينة ـ بامْبْلونا ـ التي توجد في شمال اسبانيا وبالقرب من الحدود الفرنسية. لكن في طريقهم إلى تلك المدينة وعند الوصول إلى ملتقى الطرق، توقف محرك سيارتهم فجأة مصدرا صوتا قويّا. هكذا وجدوا أنفسهم وسط الخلاء حيث كانت هناك علامتان للتشوير الطرقي اللتان تشيران إلى نفس المدينة لكن باتجاهين مختلفين. في ذلك المكان كان هناك أيضا رجل وامرأة لم تعد درّاجتهما النارية تعمل بشكل غريب. وبعد نقاش بسيط فيما بينهم، اختار الجميع الطريق ذا المسافة القصيرة حسب ما تشير إليه إحدى تلك الإشارتين، كي يصلوا بسرعة إلى هدفهم مادام الليل قد بدأ يخيّم على المكان، وهكذا بدأت المغامرة غير المنتظرة...

الفصل الأول: حفلة نهاية السنة الدراسية.

ـ في الجامعة:

داخل بناية الجامعة كان هناك العديد من الشباب الذين أتوا من جميع الجهات للاطلاع على نتائج الامتحانات للسنة الأخيرة من السلك الثاني الجامعي. بالضبط كان هناك شاب يدعى "فرنسيسكو"، طويل القامة، قوي البنية، وجهه دائري الشكل، ذو أنف متوسط الحجم، وعيناه ذات لون زيتوني، شعره قصير وأشقر اللون. كان يرتدي قميصا أصفر اللون وسروالا أزرق من نوع دجينز، وحذاء رياضيا. لقد كان برفقة خطيبته "إلينا"، كانت فتاة شابة وجميلة، وجهها دائري الشكل وأبيض، لم تكن بطويلة القامة ولا بقصيرة، كما لم تكن بسمينة ولا بنحيفة، ذات عينان سوداوان ولامعتان للغاية، شعرها طويل وأسود اللون، كانت تلبس قميصا ورديا بدون أكمام وتنورة سوداء مع حذاء ذو كعب متوسط العلو. لقد كان كل منهما سعيدا جدّا لأنهما حصلا على نقط جيدة كأغلب طلبة نفس الفوج. وبعد اطلاعهما على نتائج الامتحانات انتبه "فرنسيسكو" إلى عدم وصول صديقيهما إلى الجامعة، لهذا سارع إلى سؤال خطيبته:

ـ ألم تري صديقينا "خايمي" و "لورا" ؟

فكرت "إلينا" لبرهة ملتفتة حولها قبل أن تجيب بابتسامة ساحرة:

ـ لا، ربما لم يصلا بعد إلى الجامعة.
ـ هذا غريب، إنهما غالبا ما يصلان قبلنا.
ـ أجل، إنك على صواب.
ـ ما رأيكِ إذا ما اتصلنا ب "خايمي" عبر الهاتف لنعرف ما حصل لهما.

فجأة أشارت "إلينا" بيدها باتجاه باب الجامعة قائلة:

ـ انظر، انظر، إنهما هناك.

أدار "فرنسيسكو" رأسه بسرعة يسارا نحو مدخل الجامعة وقال:

ـ أجل، هذا صحيح. وأخيرا وصلا، لم أراهما منذ اليوم الأخير للامتحان.
ـ نعم، أنا كذلك.

في الحقيقة كان "خايمي" شابا من صفاته الجدية، طوله متوسط، شعره قصير أسود اللون، ذو عينان سوداوان ولامعتان. كان يرتدي قميصا أبيضا وسروالا أزرق سماوي مع حذاء بني. أمّا خطيبته "لورا" فكانت فتاة جميلة وجذابة، ذات شعر طويل أشقر، عيناها زرقوان، وأنفها صغير الحجم

وشكله مناسب تماما مع وجهها الرائع. كانت ترتدي قميصا ورديا بالأكمام وكذا سروالا أسود مع حذاء من نفس اللون.
هكذا اقترب "خايمي" و"لورا" من صديقيهما بخطوات متثاقلة كما لو كانا مرهقين بعد عمل شاق. حينما وصلا سلّما على صديقيهما المفضلين في الجامعة قائلين في وقت واحد:
ـ مرحبا !، كيف حالكما ؟

أجاب الاثنان في آن واحد:
ـ إننا بخير ، و أنتما ؟

قالت "لورا":
ـ نحن كذلك بخير، لكن لم نطّلع بعد على نتائج الامتحان النهائي.

تدخّل "خايمي" قائلا:
ـ أظن أنكما حصلتما على نقط جيدة، أم لا ؟

قال " فرنسيسكو":
ـ أجل، هيّا يمكنكما الاطلاع على النتائج، لقد كنا بانتظاركما.

أضاف "خايمي" بكل ثقة قائلا:
ـ حسنا، انتظرا هنا، أنا متأكد أنّنا حصلنا على أفضل النقط في الجامعة كلّها.

قالت "لورا" ضاحكة:
ـ أتمنى أن يكون الأمر كذلك، هيّا بنا !

من تم اتجه "خايمي" و "لورا" فورا إلى الشباك حيث كانت النتائج معلّقة كالعادة، إذ هناك كان مجموعة من الطلبة ينظرون إلى النتائج باهتمام. كان "خايمي" وخطيبته يبتسمان، لقد كانت السعادة على محياهما، حيث اقتربا من صديقيهما بكل سرور.

سأل "فرنسيسكو" و "إلينا" صديقيهما قائلين:
ـ حسنا، كيف كانت النتائج ؟

أجاب "خايمي":
ـ كما قلت منذ قليل، لقد حصلنا على أحسن النقط في الجامعة بأسرها.

قالت "لورا" بابتسامة سحرية:
ـ كالعادة يجب الاستعداد جيدا قبل الامتحان للحصول على نقط جيدة، وخاصة في المواد الصعبة كما تعلمون.

قالت "إلينا" بفرح:
ـ هنيئا لكما يا صديقاي ! ، اليوم كلنا سعداء بفضل الله تعالى.

تدخّل "فرنسيسكو":
ـ أنتِ على صواب، اليوم يوم مميّز، لهذا يجب أن نحتفل به لكي يكون يوما لا ينسى.

قالت "لورا":
ـ أجل، يجب أن نحتفل به، إنها فكرة رائعة.

أضاف "فرنسيسكو" قائلا:
ـ إني أدعوكم إلى منزلي ليلة الغد لنقيم حفل نهاية السنة الدراسية. لقد حصلت على إذن من والدي للقيام بذلك. إذن سوف نتقابل في منزلي غدا على الساعة التاسعة ليلا، هل أنتم موافقون ؟

قبل "خايمي" و خطيبته "لورا" قائلين:
ـ موافقان.

عبّرت "إلينا" عن رأيها قائلة:
ـ أنا لا أدري إن كنت أستطيع المجيء أم لا، إن ذلك يتوقف على موافقة والدي إذا ما كانا سيتركاني أخرج بمفردي ليلا وخاصة لا أتوفر على سيّارة، وهذا الأمر فيه مخاطرة كما تعلمون، فمن الأفضل أن لا تخرج الفتاة لوحدها ليلا.

قال "فرنسيسكو":

ـ لا تقلقي، غدا على الساعة السابعة ليلا سأتي لمنزلكِ كي أصطحبك معي يا عزيزتي، هل أنتِ موافقة ؟

قبلت "إلينا":
ـ إني موافقة تماما.

قالت "لورا":
ـ وأخيرا انتهت امتحانات هذه السنة. العطلة هي السعادة والإحساس بالحرية.

أضافت "إلينا" قائلة:
ـ أجل، إنّه عين الصواب. إني مرهقة ومتعبة بسبب الدراسة الجامعية !، لقد حان وقت التسلية وتغيير إيقاع حياتنا اليومية.

أردف "خايمي" قائلا:
ـ أنا متفق معكِ تماما. وأخيرا يمكننا أن نقول: إنّنا حصلنا على دبلوم الهندسة الإعلامية !، ثم أضاف قائلا: هل رأيتم "كرستوبال" أستاذ الإعلاميات ؟

تساءل "فرنسيسكو" قائلا:
ـ لماذا تسأل عنه يا صديقي ؟
ـ إني أريد الحديث معه حول موضوع مهم، إذن هل رأيته ؟

سارعت "إلينا" إلى القول:
ـ أنا رأيته، لقد غادر قبل وصولنا إلى الجامعة، إذ كان يتحدث مع أستاذة الرياضيات، لكن لماذا أنت مهتم بالحديث معه ؟ أخبرني ما هو الموضوع المهم الذي تريد الحديث فيه معه ؟

واصلت "إلينا" حديثها سائلة إياه بإصرار: هيّا، أخبرنا فنحن أصدقاؤك، وليس هناك ما يخفى بيننا، أليس كذلك ؟

ردّ "خايمي":
ـ طبعا، ليس هناك أي شيء أخفيه، بصراحة أردت أن أسأله إذا ما كان صحيحا أنه هناك تخصص جديد في الماستر السنة المقبلة.

سألت "إلينا":
ـ أي تخصص ؟

أجاب "خايمي" قائلا:
ـ الماستر الجامعي في تكنولوجيا المعلوميات.

أضافت "إلينا":
ـ هذا أمر جيّد، ما رأيك يا "فرنسيسكو" ؟

قال "فرنسيسكو" بحماس:

ـ يسعدني كثيرا سماع هذا الخبر، إذن يجب علينا أن نتسجل في هذا التخصص الجديد.

عبّرت "إلينا" عن موقفها قائلة:
ـ أجل، أنت على صواب، إنها فكرة جميلة، كلنا يجب علينا أن نتسجل في أقرب وقت ممكن.

سأل "فرنسيسكو" أصدقاءه قائلا:
ـ لماذا لا نذهب إلى مكتب المسؤول عن هذا التخصص كي نسأله ونتأكد من هذا الأمر ؟

صرّح "خايمي":
ـ هذا ما كنت على وشك أن أقوله لكم، هيا بنا الآن فورا !

وعليه اتّجه الأربعة فورا إلى مكتب المدير. وحينما وصلوا أمام باب الإدارة توقفوا ينظرون إلى بعضهم البعض.

تساءل "فرنسيسكو":
ـ من منّا سيدخل للحديث مع المدير ؟

أبدت "لورا" رأيها:
ـ طبعا سيلج "خايمي"، إنها فكرته، أليس كذلك ؟

قالت "إلينا":
ـ أجل، هو من يجب أن يدخل، هيّا أدخل، أدخل !

قبل "خايمي" الاقتراح قائلا:
ـ حسنا، كما تريدون.

هكذا قام "خايمي" بقرع باب مكتب المدير الذي أعطاه الإذن للدخول قائلا بصوت مرتفع شيئا ما:
ـ تفضل بالدخول !

فتح "خايمي الباب فورا ودخل هناك بكلّ ثقة.
ـ صباح الخير يا سيد "خوان" !

دعا المدير "خوان" للجلوس بكلّ أدب قائلا:
ـ اجلس يا بني.

جلس "خايمي" قبالة المكتب الكبير المليء بالأوراق والملفات. وراء المدير كانت هناك مكتبة متوسطة الحجم حيث كان هناك العديد من الكتب مختلفة الأحجام وبعض المخطوطات القديمة.

سأل المدير "خايمي":
ـ هل يمكنني المساعدة ؟

ـ أريد أن أعرف إذا ما كان صحيحا أنه سيفتح تخصص جديد في الماستر السنة المقبلة ؟
ـ أظن أنّك تقصد الماستر الجامعي في تكنولوجيا المعلوميات، أليس كذلك ؟
ـ أجل سيّدي !
ـ لكن ما هو اسمك ؟
ـ اسمي "خايمي".
ـ إذن أنت مهتم بهذا التخصص الجديد.
ـ أجل، إني جدّ مهتم، وكذلك أصدقائي.
ـ "خايمي"، أتعلم أنه لم يبق سوى ثمانية أماكن شاغرة بالنسبة لهذه الشعبة، ويمكنكم التسجيل الآن إذا أردتم ذلك دون تضييع المزيد من الوقت كي لا تندموا لاحقا ؟ ، هل فهمت قصدي ؟

قال "خايمي":
ـ أجل، إنّنا نريد التسجيل اليوم، مالذي يتعين القيام به الآن ؟
ـ قل لي كم عددكم بالضبط ؟

أجاب "خايمي":
ـ إنّنا أربعة أصدقاء.

فتح المدير درجا صغيرا يوجد بالجهة اليمنى للمكتب وأخرج فورا بعض الأوراق التي يجب ملؤها والمتماسكة فيما بينها من الجانب العلوي الأيسر.

قال المدير بنبرة حازمة:
ـ خذ يا بني، يجب عليكم ملؤها وإرجاعها في أقرب وقت ممكن، هل فهمت ؟
ـ أجل سيّدي "خوان".

قام "خايمي" من مكانه وودّع المدير بابتسامة مرسومة على شفتيه قائلا :
ـ شكرا، إلى اللقاء سيّدي !
ـ إلى اللقاء يا بني !

هناك بالخارج، بجانب باب مكتب المدير "خوان"، كان أصدقاء "خايمي" بانتظاره بصبر. وبمجرّد خروجه من هناك اقتربوا منه كما لو كان أحد الممثلين المشهورين.

قالت "لورا" بإصرار:
ـ هيّا بسرعة ! احكي لنا ما جرى هناك بالداخل، ماذا قال لك المدير ؟
ـ يا لها من حسرة، إن الخبر الذي سمعته كان مجرّد إشاعة فحسب.

عبّر "فرنسيسكو" بغضب قائلا:
ـ ماذا تقول ؟ إنّي لا أستطيع تصديق هذا الأمر، إني دائما أكره الإشاعات والأسوء أنّنا صدقناها، إنّنا بالفعل أغبياء !

قالت "إلينا":
ـ إنّك تكذب، وأضافت قائلة: ماذا تحمل في يدك ؟

تدخل "فرنسيسكو" قائلا:
ـ أجل، الأمر واضح أنه لا يقول الحقيقة، هيّا تكلّم بجديّة، إني لست مستعدّا لسماع الحماقات.

وضّح "خايمي" الأمر بقوله:
ـ حسنا، حسنا، ليهدأ الجميع، إن المدير أكّد لي أنه فعلا ستفتح تلك الشعبة الجديدة السنة الجامعية المقبلة، وأخبرني أنه مازال هناك فقط ثمانية أماكن شاغرة. لهذا يجب علينا ملأ هذه الأوراق وإرجاعها اليوم في المساء، هل أنتم بخير الآن ؟، إنّه من الصعب أو شبه مستحيل أن أمزح معكم، لكن يجب أن تغيروا طبعكم لأنّني أحب كثيرا المزاح وخاصة مع أفضل أصدقائي، هل أنتم موافقون ؟

قال "فرنسيسكو" مازحا:
ـ موافق يا أيها المخادع.

أضافت "إلينا":
ـ كم جميل أنه لم تكن مجرّد إشاعة !

أنهت "لورا" كلامها:
ـ على الأقل لدينا الحظ كي نتسجّل في هذه الشعبة الجديدة لأنّه مازال هناك ثمانية أماكن شاغرة.

أنهى الأصدقاء الأربعة حديثهم واتّجهوا جميعا نحو الخارج، و عند الوصول إلى باب الجامعة توقفوا هناك بضعة ثوان قبل أن يودّعوا بعضهم البعض.

قال "خايمي" مبتسما:
ـ هيّا، سوف نتقابل هنا على الساعة الثالثة بعد الزوال لإحضار الأوراق للمدير، هل أنتم موافقون ؟

أجاب "فرنسيسكو":
ـ أنا موافق ! إلى اللقاء يا أصدقائي !

هكذا ركب كل زوج في السيّارة واتجهوا صوب المنزل.

ـ في سيّارة "خايمي":

جلست "لورا" في المقعد الخلفي الأيمن للسيّارة الرباعية الدفع، السوداء اللون، بينما كان "خايمي" يقود السيّارة في صمت بسرعة متوسطة قبل أن يبدأ الحديث مع خطيبته قائلا:
ـ الآن سأصطحبك إلى منزلك، وبعد ذلك على الساعة الثانية بعد الزوال سأتي لآخذك للعودة إلى الجامعة.

قبلت "لورا" قائلة:
ـ حسنا، كما تريد.
ـ لا تنسي ملأ طلب التسجيل للولوج رسميا إلى الماستر الجامعي.
ـ لا تقلق، بمجرّد وصولي إلى المنزل سوف أقوم بما يجب إني فتاة بالغة يا عزيزي و لا داعي لتكرار الأمر مرتين.

أردف "خايمي" قائلا بسخرية:
ـ حسنا، حسنا، لا تقتليني من فضلك!

اقتربت "لورا" من خطيبها وأمسكت عنقه بيديها وقالت ضاحكة:
ـ أجل، سوف أقتلك، سوف أرسلك حالا إلى السماء !
ـ حذار، إني أسوق ولا أرى الطريق جيّدا !

هكذا وبسرعة توقفت "لورا" عن القيام بالحماقات، وبحركة سريعة أشعلت الراديو وقالت:
ـ إني أحب هذه الأغنية. ثم سألت خطيبها قائلة: هل تحب هذا المغني ؟

أجاب "خايمي" بكلّ ثقة:
ـ طبعا أحبّه، إنّه "مايكل جاكسون".
ـ أجل، لقد أصبت، لكن إذا عرفت اسم أخواته سوف أهدي لك قرصا من ألبومه بعنوان "المخيف".
ـ هل أنتِ متأكدة يا "لورا" ؟
ـ نعم، أنا متأكدة، هيّا أجب عن سؤالي.
ـ "رِبي جاكسون" و "لاتويا جاكسون" و"جانيت جاكسون".
ـ أجل، لقد أصبت مجدّدا. إذن سوف أهديك القرص في أقرب وقت إن شاء الله.

صرّح "خايمي" قائلا:
ـ هل تعلمين أن السؤال كان سهلا، فالعالم بأسره يتتبّع الأخبار عن المغني ملك "البوب".
ـ نعم، أنت على صواب.

تابع الاثنان حديثهما إلى غاية وصولهما إلى منزل "لورا" حيث تركها هناك وتابع طريقه نحو منزل والديه حيث يعيش.

ـ في منزل "خوسيه" و "ناتاليا":

كان في المنزل وبالضبط في البهو رجل في خمسة وأربعين سنة من عمره تقريبا، يدعى "خوسيه"، كان برفقة زوجته "ناتاليا" في الأربعينات من عمرها، و بالرغم من ذلك مازالت جميلة. إنّهما والدي "فرنسيسكو"، كانا معا جالسين على الأريكة يشاهدان التلفاز في انسجام تام. فجأة و بشكل غير منتظر وصل "فرنسيسكو" إلى البيت بعد أن ترك خطيبته في منزلها، وسلّم على والديه بكل فرح قائلا:
ـ مرحبا والدي !

أجاب كل من "خوسيه" و"نتاليا" في آن واحد قائلين:
ـ مرحبا يا بني ! كيف حالك ؟
ـ إني بخير.

ترك "فرنسيسكو" بعض الأوراق فوق طاولة صغيرة من زجاج ذات حافة من خشب كانت توجد في وسط البهو قبل أن يجلس بجانب والديه.

سأل "خوسيه" ابنه قائلا:
ـ كيف كانت النتائج النهائية لهذه السنة الجامعية يا بني ؟

أجاب "فرنسيسكو" بغرور قائلا:

ـ لقد كانت النتائج مبهرة ورائعة كالعادة، إذ حصلت أنا وخطيبتي على أفضل النقط في فوجنا.

قالت "نتاليا" مبتسمة:
ـ يسعدني كثيرا سماع هذا، هنيئا لك يا ابني الوحيد !

ثم سأله والده من جديد قائلا:
ـ ماذا تريد أن تفعل إذن في السنة القادمة ؟

أجاب "فرنسيسكو" بحيوية قائلا:
ـ انظرا ! لقد أحضرت تلك الأوراق كي أملآها لأنّني سوف أتسجّل في تخصص جديد بالماستر مع أصدقائي مساء اليوم.

تساءل والداه في الآن نفسه قائلين:
ـ عن أي تخصص تتحدث يا بني ؟

وضّح "فرنسيسكو لهما قائلا:
ـ إنّه الماستر الجامعي في تكنولوجيا الإعلاميات، إنّها شعبة جيّدة من أجل مستقبل مضمون ولاختيار مهنة ذات أفق متميّز. لهذا أريد التسجيل مع أصدقائي في هذه الشعبة، فقد كان ذلك فكرة صديقي "خايمي" وكلّنا موافقون على اختياره.

أنهى خوسيه كلامه قائلا:
ـ اختيار جيّد يا بني، أتمنى لك حظا سعيدا !

كما أن أمّه عبّرت عن موقفها قائلة:
ـ أتمنى لك الأفضل يا بني، وأرجو من الله أن يساعدك على تجاوز كل الصعوبات.

أنهى "فرنسيسكو" حديثه قائلا:
ـ شكرا جزيلا لكما يا والدي ! لنغيّر الموضوع، إني جائع وأريد تناول الطعام فورا. إضافة إلى أنّه يجب أن أملأ هذه الأوراق لإرجاعها إلى الجامعة هذا المساء.

قبل أن تذهب "نتاليا" إلى المطبخ أردفت قائلة:
ـ حسنا يا بني، سوف أحضر الطعام فورا.

ـ في منزل " ماركو" و "مارينا":

"ماركو" رجل يبلغ اثنان وأربعون سنة، بدأ الشيب يستعمر شعره، طويل القامة وقوي البنية حيث كان يقوم بالتمارين الرياضية مرتين في الأسبوع، لهذا كان يرتدي بذلة رياضية زرقاء اللون مع حذاء رياضي أسود اللون من النوع الجيّد. إنّه والد الفتاة "إلينا"، آنذاك كان في البهو أتى من الخارج،

كما كانت هناك زوجته "مارينا"، تبلغ واحدا وأربعين سنة، ذات شعر طويل أشقر. كانت تكنس الزربية بمكنسة إلكترونية. وحينما رآت زوجها طلبت منه إصلاح "الأباجور" الموضوعة فوق طاولة خشبية صغيرة بنّية اللون.

لقد كانت "مارينا" أمّا حنونا وطيّبة مع ابنتها الوحيدة "إلينا"، وعلى العكس من ذلك كان زوجها حازما نوعا ما مع ابنته، إذ كان يتّصف بصفات العائلات التقليدية لأنه تربّى في كنف عائلة محافظة.

وخلال لحظات قليلة وبشكل مفاجئ قال "ماركو" بصوت مرتفع شيئا ما:
ـ لقد تمّ إصلاحها !

بسماع ذلك قالت "مارينا" متعجّبة:
ـ لقد أصلحتها بسرعة كبيرة !

ثم أعلن زوجها قائلا:
ـ فقط قمت بتغيير المصباح لا غير !
ـ أحسنت يا عزيزي، أنا أيضا أنهيت عملي. سوف أنادي حالا على ابنتنا كي نتناول الطعام، هل أنت موافق ؟

قال زوجها بفرح شديد:

ـ كما تريدين يا عزيزتي !
في تلك اللحظة نزلت "إلينا" من غرفتها إلى الأسفل وسلّمت على والدها قائلة:
ـ مرحبا يا أبي !
ـ مرحبا يا ابنتي ! لقد كنا في انتظارك، ثم سأل قائلا: كيف كانت نتائج الامتحان النهائي ؟
ـ كانت جد حسنة ورائعة حيث حصلنا على نقط جيّدة كما توقعنا.

قامت "مارينا بتهنئة ابنتها قائلة:
ـ هنيئا لك يا بنيّتي !
ثم قام أبوها بتهنئتها قائلا:
ـ تهانينا ! وكيف كانت نتائج خطيبك ؟

أجابت "إلينا" قائلة:
ـ هو أيضا حصل على نقط متفوّقة، لهذا سوف ينظم حفلا خاصا بهذه المناسبة ليلة اليوم في منزله.

تعجّب "ماركو" قائلا:
ـ في الليل !
ـ أجل يا أبي. لكن لا داعي للقلق فخطيبي سوف يأتي ليأخذني إلى منزله في الليل. هل أنت موافق ؟

ـ نعم، إنّي موافق لكن كوني حذرة لأنّي لا أريد أيّة مشاكل وخاصة بالليل، مفهوم ؟

طمأنت "إلينا" والدها قائلة:
ـ أجل، لا تقلق كل شيء سوف يكون بخير.
أنهت "مارينا" كلامها قائلة:
ـ أتمنى أن تقضي وقتا ممتعا يا بنيّتي، لكن الآن ساعدني لإحضار الطعام، إني جائعة ولا أستطيع الانتظار أكثر، هيّا بنا !

في منزل "خراردو" و"كارمن":

في البهو كانت هناك امرأة جالسة على الأريكة اسمها "كارمن"، ذات شعر رطب لا طويل ولا بقصير، متوسّطة الطول، كانت تلبس قميصا بنفسجيا وسروالا بنيّا. إنها أمّ الشاب "خايمي". في الحقيقة كانت امرأة سعيدة ورائعة، تقضي وقتا طويلا في القراءة، إذ كانت تقرأ رواية للخيال العلمي، بينما كان زوجها في مكتبه، فهو رجل شريف وعادل، كما أنّه لطيف جدّا ومحبوب، فقد كان محاميا دائع الصيت في المدينة حيث يقطن.

بمجرّد أن دخل "خايمي" إلى المنزل سلّم على والدته قائلا:
ـ مرحبا يا أمّي ! كيف حالك ؟

رفعت "كارمن" رأسها ونظرت إلى ابنها مبتسمة وأغلقت الكتاب الذي كان بين يديها قبل أن تردف قائلة:
ـ مرحبا يا بني ! إنّي بخير. كيف كانت نتائج الامتحان النهائي ؟
أجاب خايمي قائلا:
ـ على العموم كانت النتائج رائعة فقد حصلت على أفضل النقط هذه السنة الجامعية. طبعا كان هذا ثمرة الاستعداد المتواصل منذ بداية السنة الجامعية، وهذا يتطلّب جهدا كبيرا وعملا كبيرا وهذا الأمر ليس سهلا كما تعلمين يا أمّاه.

ثم سألته أمّه قائلة:
ـ وماذا عن أصدقائك المفضلين ؟
ـ هم أيضا حصلوا على نقط جيّدة.

عبّرت "كارمن" عن فرحها قائلة:
ـ يفرحني سماع هذا يا بني، تهاني لك ولهم كذلك، وأتمنى لكم مسيرة موفّقة.

آنذاك قال "خايمي":
ـ شكرا لك يا أمّاه. حسنا أريد أن أخبرك أنّني سوف أتسجل في شعبة جديدة في الماستر مساء اليوم.
ـ في أي تخصص سوف تتسجّل ؟

أجاب "خايمي" قائلا:
ـ في الماستر الجامعي لتكنولوجيا الإعلاميات للسنة القادمة، لهذا يجب أن أملأ هذه الأوراق وإرجاعها هذا المساء إلى المدير المسؤول عن هذا التخصص الجديد.

عبّرت والدته عن رأيها قائلة:
ـ حسنا يا بني، أعتقد أنّه تخصص جيّد، أتمنى لك من كل قلبي حظا سعيدا ومستقبلا رائعا مزهرا. في الحقيقة إنّه قرار مهمّ من أجل مهنة المستقبل...

ثم سألها "خايمي" قائلا:
ـ وأين والدي ؟
ـ إنّه في مكتبه كالعادة، وأنت تعلم أنّ مهنة المحاماة تتطلّب الكثير من العمل المستمر والمثابرة.
ـ أنتِ على صواب يا أمّي. حسنا سوف أذهب للحديث معه.
ـ كما تريد، لكن لا تتأخر كثيرا لأنّني سوف أضع الطعام على المائدة، إنّه وقت الطعام وإني جائعة، هل أنت موافق ؟
ـ موافق.

توجّه "خايمي" فورا إلى الغرفة حيث يوجد مكتب والده " خراردو"، وقام بدقّ الباب مرّتين قبل أن يأذن له بالدخول قائلا:
ـ تفضل بالدخول !

آنذاك فتح "خايمي" الباب بهدوء ودخل إلى هناك مسلّما على والده بأدب قائلا:
ـ مرحبا يا والدي !

حينذاك قال "خراردو" بثقة:
ـ مرحبا يا بني ! هنيئا لك ! إنّه ظاهر في عينيك أنّك حصلت على نقط جيّدة، أليس كذلك ؟
ـ أجل هذا صحيح، لكن ذلك تطلّب منّي استعدادا مكثّفا للوصول إلى هذه النتيجة.

أضاف والده قائلا:
ـ لقد انتهى ما هو صعب وآن يجب التفكير في المستقبل.
ـ طبعا، لدي خبر سار، هل تتذكر حينما كلمتك عن فتح تخصص جديد ؟
ـ أجل أتذكر، هل هناك من معلومات جديدة ؟
ـ إن الخبر صحيح، انظر! لقد أحضرت هذه الأوراق كي أملآها بهدف التسجيل في تلك الشعبة الجديدة.

ثم أردف قائلا:
ـ يا له من حظ سعيد ! لقد كان هذا ما تريده وأخيرا حصلت عليه يا بني.

ختم "خايمي" كلامه قائلا:

ـ أجل صحيح، آه ! يجب أن نذهب لتناول الطعام، إنّ أمّي في انتظارنا.

أسرع الاثنان للخروج من هناك وتوجّها مباشرة إلى غرفة الأكل.

في منزل "فسنتي" و "إرِني":

كانت "لورا" ووالديها "فسنتي" و "إرني" في غرفة الأكل يتناولون الطعام، لقد كان الأب "فسنتي" مسالما ومحترما وعاطفيا وطيّبا؛ إذ كان رجلا كامل الأوصاف في نظر ابنته، لذلك كانت تحبّه. كما أنّ أمّها حنونة ومحبوبة وعاطفية ومتفائلة ومتفهّمة. خلال تلك اللحظة كسّر "فسنتي" الصمت قائلا بصوت مرتفع شيئا ما:
ـ إذن سوف تحتفلون غدا مساءا، إنّها فكرة جيّدة يا ابنتي، اقضي وقتا ممتعا !

تدخلت "إرني" قائلة:
ـ أجل صحيح، سوف يكون يوما لا ينسى بالنسبة لكم.
شكرت "إرني" والديها قائلة:
ـ شكرا لكما يا والدي ! إنه من المستحيل ردّ تضحياتكم من أجلي واهتمامكم بدراستي كلّ هذه السنوات.
هكذا تابع الثلاثة كلامهم بانسجام مسترجعين الذكريات الجميلة وخاصة عندما كانت "لورا" طفلة صغيرة في المدرسة.

في الجامعة:

في مدخل الجامعة كان "خايمي" برفقة خطيبته "لورا"، لقد كانا ينتظران صديقيهما "فرنسيسكو" و "إلينا" اللذان تأخرا عن الوصول، إذ كانت الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق بعد الزوال، لهذا أومأ "خايمي" قائلا:
ـ أعتقد أنهما لن يأتيا، أليس كذلك ؟

فقالت "لورا":
ـ لا داعي للقلق كثيرا، فقط تأخرا قليلا وسوف يصلون عمّا قريب، هل أنت موافق؟
ـ أجل، سوف ننتظرهما قليلا.

في تلك اللحظة شاهدت "لورا" "فرنسيسكو" يركن سيّارته بمحاذاة الجامعة وقالت:
ـ انظر، انظر، إنهما هناك، وأخيرا وصلا كما قلت منذ قليل.

ثم صرّح "خايمي" قائلا:
ـ أجل، أنت على صواب، أكيد بسبب الزحام في الطريق لم يصلا في الوقت المناسب.

هكذا خرجا كل من "فرنسيسكو" و"إلينا" من السيّارة واتّجها بسرعة نحو مدخل الجامعة حيث يقف صديقاهما.

ثم قال "فرنسيسكو" متأسفا:
ـ مساء الخير يا صديقاي! نحن آسفان عن التأخر في الوصول، لقد تأخرنا بسبب الازدحام في الطريق.

فشرحت لهما "إلينا نفس الأمر قائلة:
ـ إني آسفة كذلك يا صديقاي، لقد كان ذلك خارجا عن إرادتنا.
تدخل "فرنسيسكو" قائلا:
ـ ليس الأمر هكذا، كان لديكما خيار آخر، فقط يجب التفكير، فكل مشكلة لها على الأقل حل واحد.

تساءلت "إلينا" بصوت مرتفع شيئا ما:
ـ أخبرني، عن أي خيار آخر تتحدث ؟
ـ هل فعلا تريدين معرفة ذلك يا "إلينا" ؟
ـ طبعا أريد أن أعرف.

وضح "خايمي" قصده قائلا:
ـ إذن فقط يجب أن تخرجا مبكرا من المنزل كي تصلا إلى هنا في الوقت المناسب. فأنتما تعلما كيف يكون الطريق في هذه الأوقات، أليس كذلك ؟

على الفور تدخلت "لورا" قائلة:
ـ ها ! هدوء من فضلكما، لم يحدث أي شيء !

ثم عبّر "فرنسيسكو" قائلا:
ـ هذا صحيح، هيّا بنا ! لا داعي لتضييع المزيد من الوقت من أجل لا شيء.

ابتسم "خايمي" وقال:
أجل، أجل، لكن من سيعطي الأوراق للمدير ؟

آنذاك نطق "فرنسيسكو" بجديّة قائلا:
ـ لا تقلقوا ! أنا من سيقوم بهذه المهمة، من فضلكم امنحوني أوراق التسجيل في الحال.

بذلك أخذ "فرنسيسكو" الأوراق واضعا إيّاها وسط ملف أصفر اللون واتّجه الجميع نحو مكتب المدير. عندما وصلوا إلى هناك قام "فرنسيسكو" بدق الباب مرّتين قبل الدخول، وفي الحين أعطاه المدير "خوان" الإذن للولوج إلى المكتب، وما إن دخل قال:
ـ مساء الخير سيّدي !
ـ مساء الخير يا بني ! اجلس من فضلك، أعتقد أنّك "فرنسيسكو" صديق "خايمي"، أليس كذلك ؟
ـ أجل كذلك، لقد أحضرت الأوراق التي طلبت منا ملأها للتسجيل في التخصص الجديد.

في الحال مدّ "فرنسيسكو" يده مانحا الأوراق للمدير الذي لم يتأخر في أخذها بسرور قائلا:
ـ حسنا يا بني، على ما يبدو فقد حصلت على نقط جيّدة كأصدقائك، لهذا أهنئكم جميعا كما أطلب منك الاستمرار على هذا المنوال في دراستك بالماستر خلال السنة الجامعية المقبلة، اتفقنا ؟
ـ موافق، هل بإمكاني الانصراف الآن ؟
أجاب المدير قائلا:
ـ أجل تستطيع الانصراف.

وقف "فرنسيسكو" من على الكرسي كي يخرج، لكن بشكل مفاجئ أوقفه المدير الذي فتح الدرج الذي يوجد في الجهة اليسرى من المكتب، وأخرج من هناك ورقة من حجم صغير ومدّ يده قائلا:
ـ خد يا بني ! إنّها الخريطة للذهاب إلى مدينة جميلة؛ إذا نظرت جيّدا إلى الخريطة ستشاهد أن هناك مكانا محاطا بدائرة حمراء. إنك تستطيع الذهاب برفقة أصدقائك لقضاء عطلة الصيف هناك. احتفظ بها في جيبك كي تجعلها مفاجأة جميلة بالنسبة لأصدقائك، اتفقنا ؟

أجاب "فرنسيسكو" منهيا حديثه قبل أن يغادر ذلك المكان:

ـ اتفقنا، إنّه كما لو كان قد قرأت أفكاري؛ فقد فكرت فعلا القيام برحلة رائعة مع أصدقائي المفضلين. شكرا لك على كل شيء يا سيدي !

وختم المدير قوله بهذه الكلمات:
ـ لا شكرا على واجب يا بني وحظ سعيد !

حينذاك احتفظ "فرنسيسكو" بتلك الخريطة في جيبه قبل أن يخرج من مكتب المدير، فقد كان أصدقاؤه في انتظاره بالخارج.

بمجرّد أن خرج من هناك صرّح "فرنسيسكو" قائلا لأصدقائه :
ـ وأخيرا يا أصدقائي انتهت المهمّة !

وقتذاك عبّر "خايمي" قائلا:
ـ حسنا فعلت يا صديقي، لقد قمت بعمل جيّد من أجلنا.

وقد وافقته "لورا" الرأي قائلة:
ـ أجل، لقد كان عملا مهما اليوم.

استدرك "فرنسيسكو" قائلا:

ـ لكن كل هذا كان بفضل صديقنا "خايمي"، فبدونه ربما لم نكن حصلنا على هذه الفرصة من أجل التسجيل في هذه الشعبة الجديدة، فقد كانت فكرته منذ البداية، أليس كذلك ؟

ثم أضافت "إلينا" قائلة:
ـ إنك على صواب. والآن هيا لنرحل من هنا فقد قمنا بما يجب بالنسبة للسنة القادمة.

في تلك اللحظة فركت "لورا" يديها وقالت:
ـ ما رأيكم لو ذهبنا لبعض الوقت إلى حانة "النجم" لشرب شيء ما ؟

وافقت "لورا" علة الفكرة قائلة:
ـ أجل، إنّها فكرة جيّدة.

كما وافق "فرنسيسكو" وعبّر عن ذلك بقوله:
ـ أنا أيضا لدي رغبة في تناول شيء ما.

آنذاك نظر "خايمي" لبرهة إلى أصدقائه ورفض الفكرة بحركة من رأسه، فتوسلت إليه "لورا" قائلة:
ـ هيّا يا "خايمي"، اقبل الأمر من فضلك !

وفي الأخير قبل "خايمي" قائلا:

ـ حسنا، لنذهب بما أنك تصرين على ذلك يا عزيزتي !

فأسرعت "لورا" إلى التعبير عن فرحها قائلة:
ـ رائع ! هيّا بنا في الحال دون تضييع المزيد من الوقت.

وفي الأخير غادر الأربعة الرواق حيث يوجد مكتب المدير واتجهوا إلى خارج الجامعة، ثم ركب كل زوج في سيّارة وتوجّهوا إلى حانة "النجم" الذي يوجد بالقرب من الجامعة. هكذا كان "فرنسيسكو" يسوق سيّارته وراء سيّارة صديقه "خايمي"، وخلال خمس دقائق وصلوا ودخلوا فورا إلى هناك بعدما ركنوا السيّارات في موقف السيّارات.

ـ في حانة "النجم":

كانت الحانة كبيرة بما يكفي، وبالداخل كان هناك العديد من الطاولات متوسطة الحجم، وكل طاولة محاطة بأربع كراسي من الخشب البني اللون. كما كانت هناك خزانة ذات رفوف عديدة حيث تم ترتيب الكثير من زجاجات الويسكي، والبيرة ومشروبات أخرى.

وفي أحد الأركان كان هناك تلفاز معلّق في الحائط، لكن في تلك اللحظة كان منطفئا لأن صاحب المحل اعتاد أن يشعله حينما تكون هناك مباراة كرة القدم أو فيلم ما. وقتذاك كان هناك القليل من الناس يحتسون المشروبات أو يتناولون شيئا ما.

بمجرّد أن دخل الأصدقاء الأربعة إلى هناك جلسوا على طاولة توجد في وسط الحانة، وفي الحال اقترب منهم النادل وقال بأدب:
ـ ماذا تشتهون أن تحتسوا، شيئا ساخنا أم شيئا باردا ؟

قالت "لورا":
ـ أنا أريد البيرة من فضلك.

في حين كان طلب "إيلينا" كالتالي:

ـ أنا أرغب في تناول عصير البرتقال.
ـ أنا أفضل شرب كوكا كولا ــ قال "خايمي" ــ .

وأنهى "فرنسيسكو" الطلبات قائلا:
ـ الآن حان دوري، إنّي أريد ساندويتش الكلامار مع عصير ليمون بارد لأني جائع.

سجّل النادل جميع الطلبات في كتيب صغير وانصرف بسرعة لإحضار تلك الطلبات بينما بدأ الأصدقاء في الدردشة بصوت مرتفع شيئا ما:

ـ هل تتذكر مشاجرتك يا "فرنسيسكو" هنا مع ذلك الرجل المجنون ذو الشارب ؟ ــ سأل "خايمي" ــ.
ـ أجل، إنّي أتذكر جيّدا كما لو حصل ذلك البارحة، لكن هو من تسبب في ذلك الشجار، أليس كذلك ؟

آنذاك شرحت "إلينا" الأمر قائلة:
ـ طبعا كان هو من بدأ الشجار، فقد أراد أن نقوم من الطاولة التي نجلس عليها حاليا حسب ما أذكر مدعيا أنها له.

ثم تدخلت "لورا" قائلة:

ـ أجل، لقد كان شخصا سافلا، لكن لننس هذا الموضوع الآن ولنستمتع بهذه اللحظات الجميلة دون التفكير في الأمور السيئة الماضية، فما مضى قد انتهى، اتفقنا؟

أضاف "فرنسيسكو" قائلا:
ـ نعم، أنا أوافقك الرأي تماما، إنّنا هنا للاحتفال بالنجاح وليس من أجل تذكر الأوقات الماضية.

وقتذاك جاء النادل مع الطلبات في آنية مستديرة من البلاستيك بنية اللون مرسوم عليها فواكه متنوعة. بذلك وزع النادل على كل واحد منهم ما طلبه وانصرف في الحال قائلا بابتسامة:
ـ شهية طيّبة يا شباب !

أجاب الجميع في آن واحد قائلين بكل أدب:
ـ شكرا لك.

حينذاك بدأ "فرنسيسكو" في تناول الساندويتش بشراهة بينما احتسى الباقون مشروباتهم وتحدثوا فيما بينهم في الوقت نفسه.
ـ كما تعلمون يا أصدقائي، أنا غالبا ما أقضي عطلة الصيف في القرية مع عمّتي وأبنائها ــ قال "خايمي" ــ.

ثم أبدت "لورا" رأيها قائلة:
- إن الأمر جيّد يا عزيزي، هكذا ستتعلّم كيفية العيش في القرية في ظروف مختلفة عن الظروف في المدينة.
- أنا أريد تحقيق حلمي الكبير ! ــ عبّرت "إلينا" ــ.
- عن أي حلم تتحدثين يا " إلينا" ؟ ــ تساءل "فرنسيسكو' ــ.

وضّحت "إلينا" الأمر قائلة:
- إنّي أتمنى بشغف كبير زيارة مدينة مختلفة تماما عن المدن الأخرى التي زرتها سابقا، إذ أريد الذهاب إلى مدينة رائعة كما في الأحلام.
- أظن أن هناك مدينة جميلة التي سيروق لك كثيرا زيارتها ــ صرّح "فرنسيسكو" ــ.
- لكن ما هو اسم هذه المدينة ؟ ــ أرادت أن تعرف "إلينا" ــ.
- أجل ما هو اسمها ؟ وأين توجد بالضبط ؟ ــ تساءل "خايمي" ــ.

رفع "فرنسيسكو" رأسه ونظر إلى أصدقائه مبتسما قبل أن يسألهم قائلا:
- هل فعلا تريدون معرفة هذه المدينة ؟
- طبعا نريد ذلك، هيّا أخبرنا فورا ــ أجاب بقية الأصدقاء ــ.

في تلك اللحظة أخرج "فرنسيسكو" الخريطة من جيبه ووضعها وسط الطاولة، فسارعت "إلينا" إلى سؤاله قائلة:
ـ ما هذا يا عزيزي ؟

أجاب "فرنسيسكو" بابتسامة مرسومة على شفتيه:
ـ إنها الخريطة التي تحدّد موقع مدينة أحلامك.

قام "خايمي" بمدّ يده وأخذ الخريطة لرؤيتها عن قرب، ثم تساءل قائلا:
ـ هل هي المدينة التي أحيطت بدائرة حمراء ؟
ـ أجل إنها هي بالضبط ــ أجاب "فرنسيسكو" ــ.

علّق "خايمي" قائلا:
ـ اسمها "بامبلونا"، إنها توجد بشمال اسبانيا و قريبة جدّا من الحدود الفرنسية.
ـ أعطني الخريطة كي أرى من فضلك ! ــ طلبت "إلينا" ــ.

حينذاك منحها "خايمي" الخريطة وسأل صديقه قائلا:
ـ من الذي أعطاك هذه الخريطة ؟
ـ إنّه المدير "خوان" ــ أجاب "فرنسيسكو" ــ.
ـ لماذا لم تقل شيئا لنا من قبل حول هذا الأمر ؟ ــ تساءلت "لورا" ــ.

وضّح "فرنسيسكو" الأمر قائلا:
ـ أردت أن أبقي الأمر مفاجأة. إضافة إلى أن المدير أراد أن يكون الأمر غير متوقع من طرفكم.
ـ أحس أن شيئا ما غريبا وغير مفهوم يجذبني ويدعوني إلى زيارة هذه المدينة ــ عبّرت "إلينا" بشكل غريب ــ.
ـ حسنا، ما رأيكم أن نسافر إلى هذه المدينة خلال نهاية الأسبوع ؟ ــ اقترح "فرنسيسكو" بحماس ــ.
ـ أنا موافقة تماما ــ قبلت "إلينا" اقتراح "فرنسيسكو" ــ.
ـ أتمنى أن يكون سفرا رائعا ولا ينسى ــ قالت "لورا" ــ.
ـ على ما يظهر أنكم كلّكم مستعدون من أجل هذا السفر، وأنا أيضا مهتم بالأمر، ونستطيع الذهاب جميعا إلى هناك بسيّارتي ــ أنهى "خايمي" كلامه.

بالضبط في الطاولة القريبة منهم بالجهة اليمنى، كان هناك زوج وامرأته جالسان ويستمعان بانتباه إلى حديثهم حول تلك المدينة، حيث تجرّأ ذلك الرجل وبدأ بالحديث معهم قائلا:
ـ المرجو المعذرة يا شباب، هل يمكنني إلقاء نظرة على الخريطة ؟

حينها أجاب "فرنسيسكو" بكل هدوء قائلا:
ـ أجل يمكنك ذلك.

منح "فرنسيسكو" الخريطة للرجل بفرح، وبذلك نظر إليها بضعة ثوان وأرجعها له على الفور قائلا:
ـ شكرا لكم يا شباب ! أتمنى أن يكون سفرا رائعا !

ردّ عليه "فرنسيسكو" قائلا:
ـ شكرا لك.
ـ إذن لقد اتّخذ قرار الذهاب إلى "بامبلونا" ؟ ــ قال "خايمي" لأصدقائه ــ.
ـ لقد تم الاتّفاق ــ أكّد "فرنسيسكو" ــ.

علّقت "إلينا" قائلة:
ـ ستكون هذه العطلة الصيفية الأفضل في حياتنا.
ـ أظن أنّنا انتهينا من الأكل والشراب ، إذن لنرحل من هنا ــ قالت "لورا" ــ.
ـ أجل، لنغادر المكان، إنّني تعب، إضافة إلى أنّه غدا سوف نقيم حفل نهاية الدراسة أو نسيتم هذا الأمر ــ ذكّرهم خايمي ــ.

هكذا خرج الأصدقاء الأربعة من الحانة بعد أداء فاتورة طلباتهم ليتجهوا بعدها إلى هدفهم المعلوم.

ـ في منزل "خوسيه" و"نتاليا":

كانت الساعة تشير إلى التاسعة ونصف ليلا من اليوم التالي. كان الأصدقاء الأربعة قد بدأوا الاحتفال؛ ففي وسط البهو وضعوا طاولة كبيرة الحجم مستديرة الشكل من الخشب حيث وضعوا العديد من أنواع الحلوى والكعك إضافة إلى مختلف المشروبات.

لقد استمتع المدعوون، فالبعض منهم أكل ودردش في الآن نفسه، بينما رقص الآخرون على إيقاع الموسيقى.

كان "فرنسيسكو" فرحا جدّا داعيا أصدقاءه لتتناول ما هو مقدم للضيوف وكان يلف بين المدعوين، إذ أوقفه أحدهم، لقد كان رجلا شابا يبلغ اثنان وثلاثون سنة من عمره، اسمه "إكناصيو"، كان يعمل محققا خاصا، ففي الحقيقة كان شخصا طيّبا ومحبوبا الذي ما فتئ أن قال:
ـ يسرّني كثيرا أن أكون حاضرا معكم في هذا الحفل يا صديقي.

فأجابه "فرنسيسكو" بأدب:
ـ إنك دائما مرحب بك معنا.
ـ شكرا جزيلا لك ــ قال "إكناصيو" رابتا على كتف صديقه ــ.

ـ لا داعي للشكر.

ثم أضاف "إكناصيو" قائلا:
ـ بالصدفة سمعت أنك ستسافر في نهاية الأسبوع برفقة أصدقائك المفضلين بالجامعة، هل هذا صحيح ؟
ـ أجل صحيح، هل تريد السفر معنا ؟ إنه مايزال هناك مكان شاغر بالسيّارة.
ـ إنّه لشرف لي أن أسافر برفقتكم، كما أنني أريد الفرار من رتابة العمل ــ قبل "إكناصيو" بسرور ــ.

بينما كانا يتحدثان، اقتربت منها خطيبته "إلينا" ماسكة يده بحنان ثم قالت لخطيبها:
ـ معذرة، هل تريد الرقص معي لوهلة من الزمن ؟

نظر "فرنسيسكو" إلى صديقه الذي سارع إلى غمزه كإشارة له لقبول دعوة خطيبته للرقص معها.
ـ طبعا، فاليوم أنت أكثر جمالا يا أميرتي ــ قبل "فرنسيسكو" ــ.

على هذا المنوال انصرف "فرنسيسكو" للرقص مع خطيبته، بينما اتّجه صديقه مباشرة نحو الطاولة لأخذ بعض الحلوى وعصير الأفوكا. بعد ذلك جلس على الأريكة ناظرا إلى

المدعوين. وخلال ثوان معدودة جاء "خايمي" وجلس بجانبه الأيمن وقال:
ـ مرحبا ! اسمي "خايمي"، و أنت ؟
ـ مرحبا، أنا اسمي "إكناصيو"، إنّي...

أوقفه "خايمي" دون أن يكمل كلامه قائلا:
ـ إنّي أعرف، إنّك صديق "فرنسيسكو"، فقد رأيتك منذ لحظات تتحدث معه، كيف تجد الحفلة ؟
ـ إنها رائعة بالرغم من أنّه لا يعجبني الكثير من الزخم ــ قال إكناصيو ــ.
ـ هل أنت متزوج أم لديك خطيبة ؟ ــ سأل "خايمي" ــ.
ـ إني عازب وليس لدي خطيبة بعد لأني منغمس في عملي.
ـ آه ! ما هو عملك ؟
ـ إني محقق خاص ــ أجاب "إكناصيو" بكل هدوء ــ.
ـ هذا رائع ! ــ تعجّب "خايمي" ــ.
ـ هل تعلم أنني سأسافر معكم ــ أعلن "إكناصيو ــ.
ـ أكيد سيكون سفرا رائعا برفقة صديق مثلك ــ عبّر "خايمي" عن رأيه بصدق ــ.
ـ شكرا جزيلا على قولك هذا. أتمنى أن أقضي برفقتكم وقتا ممتعا.
ـ إنّي مسرور جدّا لمعرفتك يا "إكناصيو". حسنا سأتركك الآن، تمتّع بوقتك !

ثم ختم "إكناصيو" الحديث قائلا:
ـ شكرا، إلى اللقاء !

آنذاك قام "خايمي" من مكانه واتّجه مباشرة إلى الرقص مع خطيبته "لورا". هكذا انتهت حفلة نهاية السنة الدراسية بسرعة، فدائما الأوقات الرائعة تنتهي بسرعة دون أن نحس بها؛ لهذا يجب اغتنام اللحظات السعيدة وخاصة اقتسامها مع الأصدقاء المفضلين كي تكون لحظات جميلة وذكريات لا تنسى تظل راسخة في حياتنا وربما يوما ما تضيء طريقنا نحو مستقبل مضمون.

الفصل الثاني: الطريق الشائك نحو المدينة المتاهة.

كان خايمي في غرفته بالطابق العلوي يقوم بوضع ملابسه في الحقيبة استعدادا للسفر المرتقب وقد أوشك على الانتهاء من ذلك، إذ كانت الساعة تشير إلى منتصف النهار من يوم السبت. كانت حقيبته فوق السرير، وبينما كان يغلقها دخلت والدته كارْمِنْ ناظرة إليه بحنان لأنها تعلم اقتراب ساعة رحيل ابنها فقالت:
ـ صباح الخير يا بني !
ـ صباح الخير يا أمّي !
ـ وحسرتاه ! سوف أفتقدك كثيرا !

ردّ خايمي بابتسامة مرسومة على شفتيه قائلا:
ـ أنا أيضا سوف أفتقدكِ، لكن لا تقلقي من أجلي، سوف أغيب لمدة أسبوعين أو ثلاثةَ وأعود بسرعة إليك.
ـ أجل، إنّي أعرف، لكن دائما عندما تسافر أشعر بالوحدة، فمهنة أبيك لا تترك له وقتا كافيا يقضيه بجانبي.
ـ في الحقيقة إنك أمّ مثالية، لذا أعدك أن أعود بأسرع ما استطعت، وسوف أهديك كتابا عند عودتي من السفر، اتفقنا ؟
ـ اتفقنا، سوف أنتظرك يا ملاكي.

بعد الانتهاء من تجهيز حقيبته قام خايمي بحملها إلى الطابق السفلي واتّجه مباشرة إلى المرآب لأخذ بعض الأغراض التي قد يحتاجها خلال السفر كالخيمة.

عندما وصلت ساعة الذهاب وضع خايمي الحقيبة وأشياء أخرى في الصندوق الخلفي للسيّارة، وآنذاك خرج والداه ناظرين إليه، ثم اقترب خراردو من ابنه الذي كان خلف السيارة وقال بصوت حزين:
ـ أعتقد أنّه قد حان وقت الوداع.
ـ أجل إن الأمر كذلك، وسنظل على اتصال بيننا بواسطة الهاتف النقال بين الفينة والأخرى.
ـ طبع يا بني.

حينذاك أخرج جراردو بطاقته البنكية من حقيبة الجيب لإعطائها لابنه كما اعتاد عند العطل ثم قال:
ـ خذ يا بني، يمكنك شراء كل ما تحتاجه لكن لا تضيع المال في الأشياء التافهة، اتفقنا ؟
ـ اتفقنا، شكرا لك على كل شيء ــ قال خايمي واضعا البطاقة في جيبه ــ.

وقتذاك اقتربت كارْمن منهما عندما كان يغلق الصندوق الخلفي للسيّارة لكي تودّعه.
ـ حسنا يا بني، أتمنى لك سفرا ميمونا ! ــ أنهى الأب جراردو كلامه ــ.
ـ إلى اللقاء يا بني ! سق بحذر وبتأن، اتفقنا ــ ختمت الأم كارْمن ــ.
ـ حاضر، إلى الملتقى يا والدي !

وبالتالي ركب خايمي في السيّارة واتّجه إلى منزل خطيبته لاصطحابها معه بينما كان والداه يسلمان عليه ملوّحان بيدهما آخذا بالابتعاد عنهما شيئا فشيئا.

وفي طريقه إلى هدفه شغّل الموسيقى وأخذ يردد الأغنية وهو يسوق. وخلال دقائق وصل إلى منزل لوْرا التي كانت في الخارج بالقرب من المنزل مع والديها بانتظاره، فقام بركْن سيّارته وخرج فورا للسلام عليهم قائلا:
ـ مرحبا يا فِسنتي و إرِيني ! كيف حالكما ؟
ـ مرحبا خايمي ــ ردّا في آن واحد ــ.

فسارع خايمي إلى سؤال لوْرا قائلا:
ـ هل أنت مستعدة للسفر ؟
ـ أجل، ألم ترى الحقيبة؟ لقد كنت في انتظارك منذ حوالي نصف ساعة.

فردّ خايمي عليها ضاحكا:
ـ حسنا، حسنا لا تبدئي بالشكوى !

ثم قالت لوْرا مترجية :
ـ ضع الحقيبة في الصندوق الخلفي للسيّارة من فضلك، إنّها ثقيلة كثيرا.

حينها سخر خايمي منها قائلا:
ـ أعتقد أنّك حملت كل ملابسك وتركت الصوان فارغا !
ـ هيّا احملها وتوقف عن قول الحماقات.
ـ لقد كنت أمزح معك يا عزيزتي.

آنذاك تدخّل فسنتي قائلا:
ـ كم من الوقت ستظلون هناك ؟

أجاب خايمي:
ـ في الحقيقة لا نعرف بعد كم سنبقى، ربما أسبوعين أو ثلاثة أسابيع تقريبا.

ثم بادرت إريني إلى القول:
ـ أتمنى أن تقضوا وقتا ممتعا وأن يكون سفرا عظيما.
ـ شكرا لك يا إريني ! ــ شكرها خايمي ــ.

ليضيف فسنتي قائلا:
ـ اهتم بها فأنا لا أملك إلا بنتا واحدة وأتمنى رؤيتها قريبا من جديد.
ـ لا داعي للقلق. إنّك تعلم أنّني أحبها كثيرا ولن أترك أن تصاب بأي أذى إن شاء الله ــ طمأن خايمي والدها ــ.
ـ أنا متأكد من ذلك يا بني ــ أكّد فسنتي ــ.

ثم أضافت إريني قائلة:
ـ أرجو من الله أن يحفظكما من كل أذى !

وضع خايمي الحقيبة داخل الصندوق الخلفي وصعد هو وخطيبته إلى السيّارة متلفظان معا الكلمات الأخيرة من نافذة السيّارة:
ـ حسنا إلى اللقاء!
ـ إلى اللقاء ! ــ ردّ فسنتي وإريني ــ.

تابع خايمي طريقه نحو منزل صديقه فرنسيسكو الذي كان هناك برفقة صديقه إكْناصيو الذي أتى على متن سيّارة الأجرة. لقد كانا يتحدثان حول لحظات قضوها مع بعضهم البعض في الماضي، فجأة سمعا رنين الجرس، فأسرع فرنسيسكو لفتح الباب فوجد صديقه خايمي:

ـ مرحبا خايمي ! كيف حالك ؟
ـ مرحبا ! إني بخير، هل أنت جاهز ؟
ـ طبعا ! إنّ صديقي إكناصيو هنا برفقتي.
ـ جيّد، إذن أحضرا أغراضكما فورا لنذهب من أجل خطيبتك، اتفقنا ؟
ـ اتفقنا، على الفور.

في الحال وضع كل من فرنسيسكو وإكناصيو أغراضهما بالصندوق الخلفي دون إضاعة الكثير من الوقت. وفي تلك اللحظة قدم فرنسيسكو صديقه إكناصيو إلى لوْرا قائلا:
ـ مرحبا لوْرا ! إنّه صديقي إكناصيو.

ثم أضاف:
ـ إكناصيو، إنها خطيبة خايمي.
ـ مرحبا إكناصيو ! يسرّني معرفتك ــ قالت لوْرا ــ.
ـ وأنا كذلك !
ـ حسنا، إذا كنتم وضعتم كل أغراضكم فلنرحل من هنا ! ــ قال خايمي ــ .
ـ لم ننس أي شيء، هيّا بنا ! ــ ختم فرنسيسكو كلامه ــ.

بذلك ركب الأربعة في السيّارة واتّجها مباشرة إلى منزل إِلينا الذي ليس ببعيد عن منزل فرنسيسكو لأنّهما يعيشان في نفس الحيّ منذ أن كانا طفلين صغيرين. و خلال ثوان وصلا إلى هناك وأركن خايمي سيارته بجانب المنزل وأمر صديقه فرنسيسكو قائلا له:
ـ هيّا يا فرنسيسكو ! انزل ونادي عليها بسرعة.
ـ حاضر !

من تم طرق فرنسيسكو الباب مرّتين وكان والد إِلينا هو من فتحها، فبادر فرنسيسكو إلى السلام قائلا:

ـ مرحبا مارْكو! كيف حالك ؟
ـ مرحبا فرنسيسكو! أظن أنّه حان موعد السفر.
ـ أجل يا سيدي.

أعلن ماركو قائلا:
ـ سوف أقول لك شيئا مهما.
ـ حسنا، إني أسمعك.
ـ في الحقيقة إنّي لم أكن موافقا بأن تسافر ابنتي معكم، لكن في الأخير قبلت مادام هي قد أصرت على ذلك. إذن أنا لم يكن لي خيار آخر، لذا كونوا حذرين جدّا، اتفقنا ؟ ــ شرح ماركو الأمر ــ.

حاول فرنسيسكو طمأنته قائلا:
ـ موافق، سوف أفعل المستحيل كي لا يقع لها أي شيء.
ـ أتمنى ذلك، حسنا انتظر لحظة سوف أنادي عليها حالا.
ـ حاضر.

ذهب ماركو لمناداة ابنته إلينا بينما صعد فرنسيسكو للسيّارة متوتر الأعصاب شيئا ما، حيث شاهده خايمي فقال له:
ـ ماذا بك يا صديقي ؟ إني أراك في حالة غير عادية.
على الفور قام فرنسيسكو بتوضيح الأمر قائلا:
ـ لا شيء جديد، إنّه والد إِلِينا كالعادة إذ لم تعجبه فكرة سفر ابنته معنا.

تعجبت لورا قائلة:
ـ أتعني أنها لن تسافر برفقتنا ؟
أجاب فرنسيسكو قائلا:
ـ لا، لقد ذهب والدها لمناداتها، سوف تأتي في الحال.

ثم أضافت لورا قائلة:
ـ لحسن الحظ أنها ستأتي، فالسفر بدونها سيكون مملاّ.
آنذاك قال فرنسسيسكو موضّحا الأمر:
ـ إننا نعلم أن أباها دائما صارم معها، لكن بفضل والدتها تستطيع السفر معنا.

علّق خايمي قائلا:
ـ هكذا الأمر يا صديقي ولا داعي أن تنفعل إلى هذه الدرجة.

فتدخل إكناصيو قائلا:
ـ أجل أنت على صواب، فكل شخص له طبعه الخاص وهذا أمر طبيعي، أليس كذلك ؟
وافقه خايمي الرأي:
ـ أعتقد أن الأمر كذلك، فهذا يرجع إلى أشياء مختلفة تؤثر في تكوين شخصية كل فرد كالعوامل الثقافية والاجتماعية والعائلية والخاصة.

ثم عبّر فرنسيسكو عن فكرته بقوله:

ـ أظن أنّه يجب علينا تطوير شريحة خاصة وزرعها داخل دماغ بعض الأفراد من أجل تحسين حياتنا.
وأضاف إكناصيو:
ـ ليس سهلا تغيير الأشخاص، وخاصة تغيير طريقة تفكيره وتصرّفه مع الآخرين.

حينذاك سارعت لورا للقول:
ـ توقفوا عن الحديث حول هذا الموضوع فإلينا قادمة.

بذلك سكت الأصدقاء الأربعة عن الحديث، وصعدت إلينا للسيّارة وجلست في المقعد الخلفي بالجانب الأيمن لفرنسيسكو بينما كانت لورا تجلس بمحاذاة خطيبها خايمي بالمقعد الأمامي للسيّارة.

ـ مرحبا يا أصدقاء ! ــ قالت إلينا ــ.
ـ مرحبا إلينا ! ــ ردّ الجميع ــ.
ـ إلينا أقدّم لكِ صديقي إكناصيو الذي سيرافقنا في السفر ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ أنا سعيدة بمعرفتك يا إكناصيو ! ــ قالت إلينا ــ.

ردّ إكناصيو بهدوء:
ـ وأنا كذلك سعيد بمعرفتك.

ثم صرّح خايمي قائلا:
ـ وأخيرا اجتمع الكل يا شباب !

فجأة طلبت إلينا المعذرة قائلة بأنها ستذهب إلى البيت من أجل إحضار قارئ ال م ب 3 الذي نسيته في غرفتها وأنها ستعود فورا. حينها أمرها خايمي بأن لا تتأخر.

بذلك ذهبت إلينا مسرعة لإحضار قارئ ال م ب 3 لأنها تحب كثيرا سماع الموسيقى المفضلة لديها كما هو الشأن بالنسبة لصديقتها لوْرا، فهما معا مدمنتان على سماع الموسيقى.
في تلك اللحظة أخرجت لوْرا شيئا ما من جيبها وقالت:
ـ آه ! لقد تذكرت، خذ يا خايمي، إنّها هديتك.
ـ ما هذا ! ــ تعجّب خايمي ــ.
ـ افتحه وستعرف ! ــ أمرته لوْرا ــ.

من تم قام خايمي بتقطيع الغلاف الذي يزيّن الهديّة بفضول، وما أن رأى ما بداخله قبّل خطيبته على خدّها قائلا:
ـ شكرا لك يا حبيبتي ! الآن تذكرت، إنّه قرص المغنّي مايكل جاكسون الذي وعدتني به من قبل. بصراحة إنّك دائما تفين بوعودك لي.
ـ ليس دائما يا عزيزي ! ــ قالت لوْرا ضاحكة ــ.

آنذاك بالضبط تدخّل إكناصيو وقال بأن الله وحده دائما يفي بوعوده، فوافقه خايمي الرأي. وفي تلك اللحظة صعدت إلينا للسيّارة وقالت متأسفة:
ـ سامحوني لأني جعلتكم تنتظرون.
ـ لا داعي للمعذرة ــ قال خايمي ــ.
ـ هيّا لنرحل من هنا نحو هدفنا ــ عبّر فرنسيسكو بصوت مرتفع شيئا ما ــ.

وقتذاك قام خايمي بتشغيل محرك السيّارة وانطلق نحو الهدف بسرعة متوسطة وطلب من خطيبته لوْرا أن تشغل القرص الذي أهدته إيّاه، فقامت بذلك بصدر رحب. وبمجرّد أن سمعت إلينا الموسيقى علّقت قائلة:
ـ إنّ هذه الأغنية تعجبني وأنا متأكدة أنّها للمغنّي مايكل جاكسون.
ـ أجل يا صديقتي إنها لمايكل جاكسون ــ أكّدت لوْرا الأمر مصفقة ــ.
ـ من فضلكم خفضوا الصوت قليلا ــ طلب إكناصيو ــ.
ـ حاضر، في الحال ــ وافقت لوْرا ــ.
ـ حسنا، هل تعرفون شيئا ما عن آثار مدينة بامبلونا ؟ ــ سأل إكناصيو الجميع ــ.
ـ في الحقيقة لأكون صادقا مع نفسي ليس لدي أدنى فكرة ــ قال خايمي ــ.
ـ وأنا كذلك ــ قالت لوْرا ــ.

فطلب فرنسيسكو وإِلينا أن يخبرهم إكناصيو كل ما يعرفه فأجاب قائلا:
ـ هناك العديد من المآثر، فعلى سبيل المثال هناك تمثال طوله خمسة وعشرون مترا.
ـ خمسة وعشرون مترا ! ــ تعجّبت لوْرا ــ.
ـ وماذا هناك أيضا ؟ ــ أرادت إِلينا أن تعرف ــ.

فأجاب إكناصيو قائلا:
ـ هناك أيضا باب يسمّى باب فرنسا، إنّه مدخل الجهة القديمة لبامبلونا.
ـ الآن لديّ رغبة جامحة لرؤية هذه المآثر ــ قالت لوْرا ــ.
ـ أنا أيضا لأني فقط اطّلعت على كلّ هذا في إحدى المجلاّت والآن لديّ فرصة لرؤية هذه المآثر ــ قال إكناصيو ــ ، ثم أضاف قائلا: وأنت يا فرنسيسكو هل سمعت عن قنطرة مَكْدالينا ؟
ـ إذا لم تخن الذاكرة فقد سمعت في برنامج وثائقي أنّها قنطرة فوق نهر الأرْكا بمدخل بامبْلونا ــ أجاب فرنسيسكو ــ.
ـ لقد أصبت يا صديقي ــ أكّد إكناصيو ــ.
ـ إكناصيو، مؤخرا قلت لي أنّك محقق خاص، أليس كذلك ؟ ــ سأل خايمي ــ.
ـ أجل إنّه كذلك وأحب عملي كثيرا ــ أجاب إكناصيو ــ.
ثم أضاف خايمي قائلا:

ـ لهذا أظن أنك تعرف شيئا ما حول وفاة المغني المشهور مايكل جاكسون.
ـ حسب الأطباء فملك البوب قد مات بسبب جرعة زائدة من دواء البْرُبُفول الذي وصفه له أحد الأطباء النفسيين، لكن الغريب أن هذه المادة تستعمل في غرفة العمليات وعادة ما تتطلّب مساعدة شخص آخر لحقنها عبر العروق الدموية ــ شرح إكناصيو ــ.

وقتذاك كانت لورا تستمع له بانتباه فتدخلت قائلة:
ـ إذن هل هناك شيء غريب في رواية وفاته ؟
ـ طبعا، إلى غاية الآن ليس هناك شيء مؤكد حول هذا الموضوع ــ وضّح إكناصيو ــ.
ـ لننس هذا الموضوع لأنّه يوما ما ستظهر الحقيقة أو يوم القيامة يا أصدقاء ــ علّق فرنسيسكو ــ.
ـ أجل لنستمع لأغانيه الجميلة ولنستمتع بهذه اللحظات ــ أضافت لورا ــ.

حينها صرخ خايمي فرحا:
ـ نعم، أمامنا طريق طويل، فلنستمع إلى أفضل موسيقى لأفضل مغني.
ـ يا له من نهاية أسبوع رائع ! ــ لاحظت إلينا ــ.
ـ إنه سفر رائع ولا يصدّق برفقتكم يا أصدقاء !

هكذا تابع الأصدقاء طريقهم نحو بامْبْلونا شمال اسبانيا مع أمل الوصول مبكرا إلى هدفهم للتمتع بالمكان الجديد التاريخي.
الطريق إلى جهة الشمال كان رائعا خلال تلك الفترة؛ كانت الشمس جدّ لامعة ومشرقة وسط السماء الزرقاء.
إن السهول المنخفضة والمزارع كانت خضراء. وفي جوانب الطريق كان هناك العديد من الأشجار ذات أغصان مورقة حيّة والكثير من الأزهار مختلفة الألوان تتحرّك بين الفينة والأخرى بأيدي الرياح التي تلعب بها بانسجام فريد.
كان الأصدقاء الأربعة ينظرون إلى المنظر الخلاّب لأمّنا الطبيعة، بينما كان خايمي يسوق السيّارة ويردّد الأغنية محرّكا رأسه ببطء كعلامة على فرحه.

• • • • • •

لقد مرّت سبعين دقيقة منذ بداية السفر، إذ كانت الساعة تشير إلى الثانية إلا ربع، هذا يعني أنّه حان وقت تناول الطعام حيث لم يتناولوا أي شيء منذ وجبة الفطور، فنظرت لورا إلى خطيبها وقالت:
ـ آه ! إنّي جائعة، يجب أن نتوقف.

ـ حسنا، حسنا، لقد شاهدت منذ لحظات إشارة طرقية تشير إلى أنه هناك محطّة للبنزين قريبة من قرية طُرِّيخا، فقط بقي حوالي ستّ مائة متر للوصول إلى هناك ــ صرّح خايمي ــ.

ثم قالت إلينا:
ـ هذا أمر جيّد، سوف نستطيع الاستراحة لبرهة.

على الفور نطق فرنسيسكو قائلا:
ـ أجل أنتِ على صواب، أنا لا أطيق البقاء جالسا في السيّارة لمدّة طويلة.

بينما تدخّل إكناصيو مبيّنا أن الأمر سيان بالنسبة له وأنّه يستطيع احتمال الجوع لمدّة طويلة لأنّه اعتاد على ذلك بفضل طبيعة عمله وفقط يحتاج إلى قارورة ماء متوسطة الحجم لا غير.
ركن خايمي السيّارة بجانب محطّة البنزين التي توجد وسط الخلاء بعيدة جدّا عن المدينة، ثم أردف قائلا:
ـ حسنا لقد وصلنا ! تستطيعون شراء كل ما تريدون.

خرج الجميع من السيّارة فورا وكانت الشمس في المستوى العمودي على الأرض.
ـ إنّ الجو حار جدّا يا أصدقاء ــ لاحظ إكناصيو ــ.

ـ أجل الأمر كذلك، إنّه الأسبوع الأول من فصل الصيف ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ سوف أذهب لشراء شيء ما لآكله ــ صرّحت لورا ــ.
ـ انتظريني، لحظة من فضلك ! ــ صرخت إلينا ــ.
ـ يمكنكم الذهاب إلى الدكان، سوف أملأ السيّارة بالبنزين ثم ألحق بكم ــ اقترح خايمي ــ.
ـ حسنا، كما تريد ــ قال كل من فرنسيسكو وإكناصيو في آن واحد ــ.

دخل البقيّة إلى الدكان الذي لم يكن صغيرا ولا كبيرا، بابه من خشب ثمين بني اللون. عند المدخل كانت هناك زربية صغيرة من الصوف خاصة بالأرجل صنعت بتركيا. كما كان هناك جرس معلّق وراء الباب يصدر صوتا بمجرّد فتحها. بالداخل، كانت الأرض مرصّفة بزليج بني اللون. أما في الوسط فتوجد مجموعة من الرفوف البلاستيكية حيث وُضع أنواع مختلفة من الأطعمة. إضافة إلى ثلاجة كبيرة ذات باب زجاجي بأحد الأركان، إذ كانت مليئة بالعديد من المشروبات الباردة والماء. وفي عمق الدكان كان يوجد رفّ معدني كبير علوّه متر ونصف حيث الكتب والمجلاّت.

هكذا، أخذت لوْرا ساندويتش السمك وكوكا كولا، بينما أخذت إلينا وخطيبها فرنسيسكو بعض الحلوى بالشوكولاطة. أما إكناصيو فحمل فقط قارورة ماء معدني صغيرة.

بعد ذلك اقترب الأربعة من مكان الأداء حيث كان هناك رجل عجوز غريب عمره حوالي ثمانية وستون سنة والذي كان يتأرجح على الكرسي، فبادر فرنسيسكو إلى القول:
ـ مرحبا يا سيّدي !
ـ مرحبا يا شباب ! إلى أين أنتم ذاهبون ؟ ــ سأل الرجل العجوز ــ.

فأجاب إكناصيو قائلا:
ـ إنّنا متّجهون إلى جهة الشمال.
ـ لكن إلى أين بالضبط ؟ ــ سأل الرجل العجوز من جديد ــ.

أجابت لوْرا بهدوء:
ـ بامْبْلونا !

بمجرّد أن سمع العجوز الجواب اكفهرّ وجهه، لأنّه يعرف بدون أدنى شك الخطر الموجود في الطريق إلى تلك المدينة، ثم قال بحسرة:
ـ يا إلاهي !
ـ ماذا هناك يا سيّدي ؟ ــ تدخّل فرنسيسكو ــ.

أجاب العجوز بصوت حزين:
ـ إني أنصحكم أن تغيّروا وجهتكم إلى مدينة أخرى !
ـ لماذا ؟ ــ سألت إِلينا بفضول ــ.

ـ اسمعوا جيّدا، الطريق نحو الشمال يخفي مفاجآت مرعبة وأشياء غير مفهومة تقع على مرّ الزمان ــ شرح الرجل العجوز ــ.
ـ إلى ما تلمّح ؟ ــ سأل إكناصيو بقلق ــ.
ـ لا أستطيع قول المزيد، لكن هناك حدثت أمور غريبة وفوق العادة حسب أقاويل العديد من الناس ــ حاول العجوز توضيح الموضوع ــ
ـ إنها مجرّد إشاعات لا غير ــ رأى فرنسيسكو ــ.
ـ أجل اعتاد الناس حكي أي شيء، إنها أمور يتخيّلونها ــ قالت لوْرا بكل ثقة في النفس ــ.
ـ نعم، لا يجب أن نصدّق كلامه وليس هناك داع للخوف ــ أضافت إلينا ــ.

وافقهم إكناصيو الرأي وأن كل ما قاله الرجل العجوز ليس صحيحا مطلقا، وفي تلك اللحظة دخل خايمي إلى الدكان وهو متذمّر يشتكي قائلا:
ـ إن الجوّ حار في الخارج ! إنه أمر لا يصدق لأننا مجرّد في أوائل فصل الصيف.
ـ الذي لا يصدق لم تره بعد يا بني ! ــ خاطب الجل العجوز خايمي بصوت مرتفع ــ.

نظر خايمي إلى العجوز متعجّبا وقال:
ـ عمّا تتحدّث يا سيّدي !

تدخلت إلينا وقالت:
ـ فقط يقول الحماقات !

آنذاك سارع العجوز إلى القول:
ـ حسنا يا أصدقاء، إني متأكد أنني لن أستطيع إقناعكم بتغيير الاتّجاه، لكن أستطيع أن أبيع لكم خريطة المدينة المتاهة.

تعجّب خايمي عند سماع كلام العجوز وقال:
ـ عن أي خريطة يتحدث ؟
ـ أعطني أراها من فضلك ــ طلبت لوْرا ــ.
ـ أولا يجب دفع مبلغ مائة يورو ــ قال الرجل العجوز ــ.
ـ إن ثمنها غال جدّا، فهذا غير منطقي ــ صرّح فرنسيسكو ــ.
ـ لا تبالغ في الثمن يا رجل، كما أن تلك الخريطة لا تصلح لأيّ شيء ــ أضاف إكناصيو ــ.
ـ أجل، إن ثمنها غال لكنّها جدّ مفيدة لأنها ليست فقط خريطة، فمعها وثيقة سوف تساعدكم على العيش هناك والتمكن من الخروج بدون أضرار جسيمة كما إنها الأخيرة التي أملك حاليا ــ وضّح الرجل العجوز ــ.

يبدو أن خايمي لم تعجبه تلك المحادثة، لذلك أخذ ما أراده من الطعام والشراب، قبل أن يضيف العجوز قائلا بغضب شديد:
ـ يبدو أنّكم لا تريدون سماع رجل عجوز مثلي، لكنني متأكد أنكم ستندمون فيما بعد، لذا لا تلوموا الحظ السيئ، فدائما

ندفع ثمن أخطائنا عاجلا أم آجلا بسبب عدم الاكتراث لشخص ما أراد فعلا المساعدة.

اقترب خايمي من المكان حيث يتواجد الرجل العجوز وسأل قائلا:
ـ سيدي، ما هو الثمن الإجمالي للمشتريات والبنزين ؟
ـ خمسون يورو يا أيها العنيدون ! ــ أجاب الرجل العجوز باستهزاء ــ.

أخرج خايمي بطاقته البنكية من حقيبة الجيب كي يؤدي المبلغ وقال:
ـ تفضل سيدي !
ـ أنا آسف اقبل الأداء نقدا فقط ــ قال الرجل العجوز ــ.
ـ لقد قلت خمسين يورو، خذ يا سيدي نقودك ــ تدخل فرنسيسكو ــ.
ـ حسنا يا سيدي، شكرا لك على نصائحك، وداعا! ــ قالت لوْرا ــ.
ـ وداعا يا سيدي ! ــ قال البقية ــ.
ـ إلى اللقاء ! في حفظ الله ورعايته ــ أنهى العجوز كلامه بابتسامة مرسومة على شفتيه ــ.

وبالتالي خرج الجميع من ذلك الدكان الغريب وركبوا السيّارة لمتابعة سفرهم نحو الهدف المعلوم.

في الحقيقة إن كلّ ما قاله الرجل العجوز كان مضحكا من وجهة نظر الأصدقاء، لكن أحيانا يمكن أن ندفع ثمنا غاليا لعدم الاهتمام لما يقال لنا، لهذا يجب الاستماع لما يقوله الآخرون بالرغم من غرابة ما يقال.

فجأة ثار فضول خايمي عمّا جرى بداخل الدكان فقال:
ـ ما الذي كان يحكيه ذلك الرجل العجوز ؟
ـ لقد نصحنا بأن نغيّر اتجاه سفرنا نحو مدينة أخرى ــ أجابت لوْرا ــ.
ـ كذلك حدّثنا عن المدينة المتاهة حيث تقع أشياء غريبة ومرعبة ــ أضافت إلينا ــ.
ـ إذن أراد أن يبيع لنا خريطة المدينة المتاهة، أليس كذلك ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ نعم، لقد أراد ذلك ــ أكّد فرنسيسكو ــ.
ـ هذا أمر غريب ! ــ تعجّب خايمي ــ.
ـ على ما يبدو إن الرجل العجوز أبله ويقول أي شيء ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ ماذا لو كان حقيقيا كلّ ما قاله ؟ ــ تساءل خايمي بشكل جدّي ــ.
ـ إذن سوف نتيه هناك ! ــ علّق فرنسيسكو ــ.

حينذاك صرخ إكناصيو قائلا:
ـ آه ! من فضلكم، توقفوا عن قول التفاهات فأنتم راشدون !

ـ أنا لا أستطيع تصديق ذلك العجوز لأنه أكيد كان يتلفظ بالحماقات ــ عبّرت إلِينا ــ.

من تم استنتج خايمي قائلا:
ـ حسنا، أنا لو كنت سمعته منذ البداية كنت قد اشتريت الخريطة لأنها قد تفيدنا. إضافة إلى أن الحياة تخبئ لنا دائما مفاجآت غير متوقعة، أليس كذلك ؟
ـ أعتقد أنه من وجهة نظر العلم كلّ شيء ممكن، وخاصة في هذا القرن حيث هناك العديد من المخترعات لا تصدق لكنها حقيقية ــ عبّر إكناصيو عن وجهة نظره ــ.
ـ الآن أراك قد غيّرت رأيك يا إكناصيو ــ لاحظ خايمي ــ.
ـ طبعا لأن هناك أشياءً لا نستطيع فهمها مادامت ليست في متناول عقولنا وتتجاوز درجة ذكائنا ــ وضّح إكناصيو ــ.

آنذاك تدخلت إلِينا قائلة بصوت مرتفع شيئا ما:
ـ أبدا إن المدينة المتاهة لا وجود لها في الواقع، فكلّ ما قاله كان ضربا من الخيال فحسب.
ـ يجب أن لا تقولي كلمة أبدا، فلا أحد يعلم الحقيقة ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ يا إلاهي ! لقد تحدثنا كثيرا حول هذا الموضوع، لنغير الحديث من فضلكم ــ طلبت لوْرا ــ.
ـ هيا لنأكل طعامنا يا أصدقاء، شهية طيّبة ! ــ ختم فرنسيسكو ــ.

هكذا أكل الأصدقاء الخمسة وشربوا بفرح متحدثين بانسجام عن اللحظات الماضية ناسين كلّ ما قاله ذلك الرجل العجوز ولو لبعض الوقت.

• • • • • •

بعد ثلاث ساعات من الطريق بدأ يلاحظ عليهم التعب قليلا، كانت الساعة تشير إلى الخامسة مساء، فالسفر إلى مدينة بامْبْلونا كان طويلا شيئا ما وخاصة أنهم لا يطيقون الجلوس مطولا في السيّارة، لذلك بدأ يتسرّب إليهم القلق فأخذوا يتساءلون:

ـ آه يا خايمي ! كم بقي من الوقت لنصل إلى هناك ــ سألت لوْرا بتوتر ــ.
ـ صحيح، إننا مرهقون، كم بقي كي نصل إلى هدفنا ؟
ـ أظن أنه بقي حوالي مائة وعشرون كيلومترا ــ أجاب خايمي ــ.
ـ أظن أنك على الأقل تعرف جيّدا الطريق نحو هدفنا ــ علّق إكناصيو ــ.
ـ لأكون صادقا إني لم أسلك أبدا هذا المسار، لكن أظن أننا في الاتّجاه الصحيح ــ أشار خايمي ــ.
ـ إذن حسب قولك فأنت لست متأكدا، ويمكن أن أستنتج أننا تهنا عن المسار ــ رأت إِلينا ــ.

ثم ردّ خايمي عليها قائلا:
ـ أنا لم أقل هذا، لكن أعتقد أنه ليس هناك من داع للقلق، كما أنني أتّبع الخريطة التي في حوزتي.
ـ هل مازال لدينا ما يكفي من البنزين للوصول إلى هدفنا أم لا ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ نعم، لدينا ما يكفي لسفرنا، كما أظن أنه بقي فقط حوالي ساعة من الزمن للوصول، لهذا أطلب منكم القليل من الصبر ولا داعي لسؤالي العديد من الأسئلة بدون فائدة، اتفقنا ؟ ــ قال خايمي ــ.
ـ اتفقنا، ولا تتوتر يا صديقي إنك تسوق السيّارة ــ قال فرنسيسكو بهدوء ــ.
ـ إذن اصمتوا ودعوني أقود في سلام ــ أمر خايمي ــ.
ـ حسنا كما تريد ــ أنهى إكناصيو الحديث ــ.

تابع خايمي السياقة بسرعة متوسطة كما نصحته والدته من قبل. وبمجرّد الوصول عند أحد ملتقيات الطرق توقّف محرّك السيّارة مصدرا صوتا قويّا بشكل غريب وبالتالي توقفت السيّارة في وسط الطريق في الخلاء.

ـ ما الذي حدث ؟ ـ تساءلت لوْرا ــ.
ـ أظن أن البنزين قد نفذ ــ أجاب خايمي ــ.
ـ كيف نفذ البنزين وأنت قلت لنا منذ لحظات أن هناك ما يكفي لرحلتنا ؟ ــ تعجّب إكناصيو ــ.

ـ لا فكرة لدي، لقد اختفى البنزين بشكل مفاجئ وبصورة غريبة، لا أدري على الإطلاق ما الذي حصل ــ أعلن خايمي متعجّبا ــ.
ـ ربما هناك تسرّب للبنزين ــ اعتقد فرنسيسكو ــ.
ـ ماذا سنفعل الآن ؟ ــ تساءلت إلينا ــ.
ـ يجب علينا أن نهبط من السيّارة للتحقق من الأمر ــ صرّح خايمي ــ.

بذلك نزل في الحال الأصدقاء الخمسة ونظر خايمي أسفل السيّارة دون أن يجد ولو نقطة واحدة من البنزين على الأرض، بينما ألقى كل من إكناصيو وفرنسيسكو نظرة على محرّك السيّارة دون أن يلاحظا أي مشكلة يمكن أن تسبب ذلك التوقف المفاجئ للسيّارة.

في ذلك المكان كانت توجد إشارتي طريق تشيران إلى وجهة مدينة بامْبْلونا، لكن كل إشارة تشير إلى مسافة مختلفة عن الأخرى، فإحداهما مكتوب عليها مائة كيلومترا بينما الأخرى فمكتوب عليها فقط ثلاثون كيلومترا.

ـ أه يا أصدقاء !، انظروا، هناك إشارتان في الطريق ــ لاحظت لوْرا ــ.
ـ أجل صحيح، فأي منهما يجب أن نتّبع ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ أي طريق سوف نسلك ؟ ـ أضافت إلينا ــ.

حيذاك صرخ إكناصيو بغضب قائلا:
ـ أوغاد ! من الذي وضع هاتان الإشارتان معا في هذا المكان ؟ فالأشرار يتواجدون في كل بقاع العالم و يقومون فقط بالإضرار بالآخرين دون أي سبب منطقي.
ـ انظروا! هناك زوجان جالسان على الأرض ــ صاح فرنسيسكو مشيرا إليهما بيده ــ.
ـ هيّا بنا يا أصدقاء لنعرف ما الذي وقع لهما ــ استعجل إكناصيو الأمر ــ.
ـ هيّا بنا بسرعة ! ــ أمر خايمي ــ.

هكذا اتّجه الأصدقاء الخمسة بسرعة إلى المكان حيث يتواجد الثنائي والدرّاجة المتروكة جانبا. بمجرّد أن وصلوا إلى هناك بدأوا بالحديث معهما لمعرفة ما جرى لهما. حيث بادر إكناصيو إلى سؤالهما قائلا:
ـ مرحبا ! كيف حالكما ؟
فأجابا معا قائلين:
ـ مرحبا !
ـ آ ! إنهما الثنائي اللذان التقينا بهما ذلك اليوم في الحانة ــ لاحظ فرنسيسكو ــ.
ـ أجل، إنه الرجل الذي طلب منا الخريطة ــ أكّد خايمي ــ.
ـ نعم، إنهما هما، إنّي أتذكر ملامحهما جيّدا ! ــ قالت لوْرا ــ.
ـ أجل إني متأكدة من هذا الأمر ــ عبّرت إلينا ــ.
ـ أنتم على صواب، اسمي روبِن، وهذه زوجتي راكيل.

فأخذ كل منهم يقدّم نفسه للآخر.
ـ أنا اسمي خايمي، وهذه خطيبتي لوْرا.
ـ أنا اسمي فرنسيسكو، وهذه الفتاة خطيبتي إلِينا، وهذا الشاب صديقي إكناصيو.
ـ أنا سعيد بمعرفتكم ــ قال روبِن ــ.

ظلّت المرأة راكيل صامتة في البداية ولم تقل أي شيء.

ـ ما الذي حدث لكما ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ لقد توقفت الدرّاجة النارية بغرابة بالرغم من أنه كانت مزوّدة بما يكفي من البنزين الذي اختفى دفعة واحدة بصورة مفاجئة ــ وضّح روبين ــ.
ـ لكن ما الذي تفعلونه في هذا الطريق ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ بالأحرى قل أنهما كانا يسترقان السمع ذلك اليوم في الحانة، أليس كذلك ؟ ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ في الحقيقة إنّنا قد سمعنا كلّ ما قلتموه عن السفر بالصدفة،، لهذا أعجبنا الذهاب في رحلة نحو تلك المدينة، هذا كل ما في الأمر ــ شرح روبِن ــ.
ـ اسمعوا ! يجب علينا أن نطلب سيّارة الإنجاد كي تخرجنا من هذا المكان ــ تدخلت لوْرا ــ.
ـ أجل صحيح، سوف أتّصل في الحال كي أطلب المساعدة ــ قالت إلِينا ــ.

ـ لقد حاولنا لكن بدون جدوى ــ صرّحت راكيل ــ.

على الفور أخرجت إلينا هاتفها النقال لإجراء المكالمة لكن شبكة التغطية لم تكن متوفرة بالرغم من محاولتها لمرتين أو ثلاث مرات دون أن تتمكن من التقاط الإشارة فاستسلمت في الأخير للأمر الواقع صارخة بغضب:

ـ الويل لهم، ليس هناك شبكة التغطية !
ـ يجب أن ننتظر مرور سيّارة ما من هنا ــ أبدى فرنسيسكو رأيه ــ.
ـ لا أظن ذلك، فقد انتظرنا هنا أكثر من ساعتين بدون أي نتيجة تذكر. ويمكن أن أقول أن هناك طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق ــ قال روبِن ــ.
ـ ما هو ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ المشي على الأقدام، لكن أولا يجب أن نختار أي اتّجاه من الاتجاهين ينبغي أن نسلكه حسب إشارتي الطريق الموجودة هناك ــ اقترح روبِن ــ.

فكّر إكناصيو لبرهة قبل أن يتكلّم من جديد قائلا:
ـ أظن أنك على صواب، يجب علينا أن نقرر الآن دون تضييع المزيد من الوقت مادام ليس لنا خيار آخر.
ـ أنا أفضل سلوك الاتجاه الذي يشير إلى المسافة الأقل بدل الاتجاه الآخر ــ رأى روبِن ــ.

ـ لا ــ رفضت راكيل ــ.
ـ أنا أفضل سلوك الطريق القصير كي نصل مبكرا ــ قال خايمي ــ.
ـ أنا أيضا أفضل هذا الاختيار ــ صرّح فرنسيسكو ــ.

ثم قالت كل من لوْرا و إلِينا:
ـ نحن سنذهب مع خطيبينا.
ـ الأمر واضح أني سأذهب مع أصدقائي ــ ختم إكناصيو ــ.
ـ إذن إذا لم يكن عندكم مانع سوف نذهب برفقتكم ــ اقترح روبِن ــ.
ـ ليس هناك مشكلة، لكن في البداية ينبغي أن نصطحب معنا كلّ ما نستطيع من أشياء مهمّة ــ أعلن خايمي ــ.
ـ فكرة هائلة ! ــ لاحظ فرنسيسكو ــ.
ـ لا تنسوا الأشياء الضرورية والمفيدة ــ نصحت لوْرا أصدقاءها ــ.
ـ إن أكثر ما أتمناه الآن هو أن أعود إلى منزلي ــ تمتمت راكيل ــ.
ـ ليس لدينا خيار آخر يا عزيزتي، يجب أن نستمر في رحلتنا هاته ــ قال روبِن وهو يضع حقيبته على ظهره ــ.
ـ هيّا بسرعة ! ــ أمر خايمي الجميع ــ.

وبذلك أخذ الكلّ الأشياء المهمة واتجهوا مشيا نحو الشمال سالكين المسار الأقصر حسب الإشارة الطرقية

• • • • • •

بعد ساعة من الزمن اقترب مغيب الشمس وقد كانوا يلجون وسط الغابة؛ إذ كان البنات يمشون بصعوبة من كثرة المشي والحقيبة على ظهرهن بحيث لم يكن لديهن خيار آخر سوى الصبر، لكن في الأخير بدأت لوْرا وصديقتها إِلِينا تشتكيان:

ـ آه يا شباب ! إني قد تعبت ولا أستطيع الاستمرار على هذا الحال ــ صرخت لوْرا ــ.
ـ أنا أيضا قد أنهكت، يجب أن نستريح ــ أعلنت إِلِينا ــ.
ـ أعتقد أنّه يجب أن نتوقف وننصب الخيام هنا لقضاء هذه الليلة بهذا المكان ــ صرّح فرنسيسكو ــ.
ـ أظن أن هذا ما يجب علينا القيام به قبل أن يحلّ الظلام ــ وافق خايمي ــ.
ـ أعتقد أن هذا المكان مناسب جدّا للتخييم ــ عبّر روبِن عن رأيه ــ.
ـ أنا سوف أذهب لأجمع بعض الحطب من أجل إشعال النار ــ قالت راكيل ــ.
ـ انتظري ! سوف أذهب معكِ ــ طلبت لوْرا ــ.
أنذاك أضاف خايمي قائلا:
ـ أنا وفرنسيسكو سوف ننصب الخيام بمساعدة كل من إكناصيو والسيّد روبِن ــ.
ـ هيّا إلى العمل ! ــ أنهى روبِن الكلام ــ.

هكذا ذهبت الفتيات من أجل الحطب بينما تكلّف الفتيان بنصب الخيمتين حيث سيقضيان تلك الليلة.

ـ من هنا ! ــ صرخت إلينا مشيرة إلى المكان بيدها ــ.
ـ أنتِ على صواب، فهناك العديد من العيدان المرمية على الأرض، إن لديك حاسة بصر قويّة يا إلينا ! ــ علّقت لوْرا ــ.
ـ كل واحدة يجب أن تجمع من الحطب ما تستطيع، وقد نعود لاحقا من أجل المزيد، اتفقنا ؟ ــ قالت راكيل ــ.
ـ اتفقنا ــ ردّت إلينا ــ.
ـ هيّا بسرعة ! فقد بدأ الليل يسدل ستاره ــ قالت لوْرا ــ.
ـ أعتقد أنه لدينا مايكفي لهذه الليلة، هيّا لنعد من حيث أتينا ــ أمرت إلينا صديقتيها ــ.

وفي الطريق سقطت بعض العيدان لراكيل لأنها كانت تحمل الكثير، وعند الوصول إلى المكان المعلوم وجدا الفتيان قد نصبوا الخيمتين.
ـ هذا جميل ! فقد أنهيتم عملكم بسرعة غير متوقعة ــ عبّرت لوْرا ــ.
ـ في الحقيقة إن روبن هو من قام تقريبا بالعمل كلّه، إذ له تجربة كبيرة في هذا المجال ــ صرّح خايمي ــ.
ـ لا تبالغوا ! فبدون مساعدتكم ما كنا قد انتهينا بهذه السرعة يا أصدقاء ــ قال روبن بتواضع ــ.
ـ ماذا سنفعل الآن ؟ ــ تساءلت لوْرا ــ.

ـ ابحثي لي عن عود الثقاب في الحقيبة الزرقاء من فضلك يا لوْرا ــ طلب خايمي من خطيبته ــ.
ـ في الحال يا عزيزي !

وبالضبط عندما وجدت لوْرا عود الثقاب اقترب منها روبِن ببطء وطلب منها بأدب أن تعطيه له لأنّه هو من سيتكلّف بإشعال النار، فقبلت ومدّته له على الفور. وخلال دقائق فقط تمكّن من إشعال النار ففرح الجميع بذلك واقتربوا منها، حيث ستحميهم من البرد تلك الليلة على الأقل.

● ● ● ● ● ●

كان كلّ من خِرارْدو وكارْمِن في البهو قلقين على خايمي الذي لم يتّصل بهم هاتفيا، ولم يتمكنوا كذلك من معرفة أخباره لفشل محاولاتهم الاتصال بأصدقائه.

ـ إنّي قلقة يا عزيزي، فقد اعتدنا أن يهاتفنا لنطمئن عليه، لكن هذه المرة لا أعرف بالضبط ما الذي جرى له ــ قالت كارْمِن بقلق ــ.

فحاول خراردو تهدئة زوجته قائلا:
ـ اهدئي، أكيد أنه ليس هناك شبكة التغطية أو إن بطارية الشحن قد نفذت.

ـ لا أظن ذلك، فقد مرّت ست ساعات تقريبا من انصرافهم، لهذا يجب أن يكونوا قد وصلوا منذ وقت طويل إلى مدينة بامْبْلونا ومن هناك يمكنه الاتصال من مخدع الهاتف ــ صرّحت كارْمِن ــ.

حاول خِرارْدو شرح الموقف قائلا:
ـ لا تبالغي، فأنت تعلمين أنهم شباب ومن المحتمل أن يكونوا قد نسوا الأمر أو لا يظهر لهم ذلك ضروريا ليس كما نظن نحن، هل فهمت ؟
ـ نعم، أنت أدرى بذلك.
ـ غدا أو بعد غد سوف نتّصل بعائلات أصدقائه، اتّفقنا ؟ ــ ختم خِرارْدو حديثه ــ.
ـ موافقة ــ ردّت كارْمِن ــ.

• • • • • •

مرّت ساعتان من الزمن بسرعة، فقد كانت الليلة مختلفة عن باقي الليالي. كان الجميع جالسا بشكل دائري حول النار كي يحسّوا بالدفء بالرغم من أنه كانت بداية فصل الصيف لأن الغابة تتّصف بدرجة حرارة منخفضة وخاصة في الليل. فجأة صرخت بصوت مرتفع شيئا ما متسائلة:
ـ يا فتيان ! هل أنتم جائعون ؟
ـ طبعا جائعون ــ أجاب كل من خايمي وفرنسيسكو ــ.

آنذاك طلب روبِن من زوجته أن تحضر ما لديهم من طعام، ثمّ صرّح فرنسيسكو قائلا:
ـ كلّ واحد يستطيع إحضار ما تبقى من الطعام الذي اشترينه من ذلك الدكّان الغريب للرجل العجوز.

هكذا قام الفتيان بالبحث عما هو متوفر من الطعام وعادوا للجلوس بالقرب من النار، وبعدها تناولوا ما لذّ من الطعام وتحدّثوا فيما بينهم.

كانت تلك الليلة هادئة لدرجة سماع حفيف الورق وصفير بعض الحشرات. كانت الغابة مظلمة بدرجة حرارة أقل من خمس عشرة درجة مئوية. وكانت الأرض مليئة بالكثير من النباتات والأزهار المختلفة الألوان.

وخلال تلك الأثناء تساءل فرنسيسكو قائلا لأصدقائه:
ـ كيف وجدتم هذا المكان يا شباب ؟
فردّ عليه روبِن قائلا:
ـ إنّه رائع.

ثم تدخلت إلينا قائلة بغضب:
ـ ما الذي تقوله ؟ كان يجب أن نكون الآن مستلقون على الفراش في أحد الفنادق بدل البقاء هنا وسط الغابة.

ـ اهدئي، يستطيع كل واحد أن يقول رأيه ببساطة ولا داع للانزعاج.

حينذاك قال إكناصيو رأيه بهدوء:
ـ بالنسبة لي فإنّني أجدها مغامرة جميلة وغير متوقعة.
بعدها عبّرت راكيل عن رأيها قائلة:
ـ أنا أفضل البقاء في منزلي.
ـ وأنت يا خايمي ما هو رأيك ؟ ــ سأل فرنسيسكو ــ.

فأجاب خايمي قائلا:
ـ أنا أتمنى أن نخرج من هذه الوضعية بأسرع ما يمكن فلا أريد أيّة مشاكل.

وذهبت لوْرا في نفس السياق حينما قالت:
ـ أنا أيضا أتمنى أن نجد سريعا مدينة قريبة جدّا من هنا.

فسارع إكناصيو إلى سؤال فرنسيسكو قائلا:
ـ وما رأيك أنت يا فرنسيسكو ؟
ـ أن تعجبني المغامرات الغير المنتظرة، لكن هذه المرّة أحس أن شيئا قبيحا سيقع ــ أجاب فرنسيسكو وعلامات القلق بادية على وجهه ــ.

بعد ذلك قال روبِن بشجاعة:

ـ من المؤسف أنّنا هنا، لكن يجب أن نواجه الواقع كما هو دون خوف.

أضاف خايمي قائلا:
ـ إنّي أراكم خائفون يا أصدقاء ! كونوا أقوياء وتحلّوا بالشجاعة ! سوف أقص عليكم حكاية.
ـ هيا قصّ علينا ! ــ طلب منه الجميع ــ.
ـ حسنا، استمعوا:
" كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت هناك فتاة شابة عمرها عشرون سنة، لقد كانت فتاة جميلة جدّا وجمالها كان فريدا من نوعه. كانت تعيش مع والدها المتقدّم في السن في كوخ وسط الغابة. وفي أحد الأيام جاء رجل من قرية بعيدة فتمكن من المبيت معهما بعد إقناع والدها الطيّب والمحبوب من الجميع بحيث لم يعتد على رفض أي طلب لأي كان. وهكذا عندما كان والدها يغط في نوم عميق اغتنم ذلك الرجل الفرصة وقام من الفراش واقترب من الفتاة بحذر شديد وعظّها من عنقها. وما إن عظّها أغرمت الفتاة به بشكل غريب وغادرا معا المكان في نفس الليلة للعيش معه وأدركت فيما بعد أنّه مصّاص دماء تاركة والدها وحيدا...".

وختم خايمي قصّته قائلا:
ـ انتهت القصّة يا أصدقاء !

فسارعت لوْرا إلى القول:
ـ هذه القصّة لم تخفني على الإطلاق.
ـ ولا أنا، لأني لا أصدق حكايات مصاصي الدماء ــ قالت إلِينا بكلّ ثقة ــ.

عندئذ نطق روبِن قائلا:
ـ إذن دعوني أحكي لكم قصّة حقيقية !
ـ إنّنا نريد حكاية مرعِبة جدّا من فضلك ــ طلب فرنسيسكو بأدب ــ.
ـ أجل نريد قصّة حقيقية ومخيفة ــ أكّدت كل من إلِينا ولوْرا في آن واحد ــ.

حينذاك تدخلت راكيل قائلة:
ـ من الأفضل أن ننام في سلام !

فأصرّت إلِينا صائحة:
ـ لا، لا، إنّنا نريد سماعها وفي الحال من فضلك.
ـ حاضر، حاضر كما تريدون، إذن استمعوا بانتباه:

" كان يا ما كان في قديم الزمان، كانت هناك قرية بعيدة جدّا توجد بالقرب من غابة كبيرة جدّا. كان أهل القرية يعيشون في سعادة وسلام ويتوفرون على كلّ شيء إلى غاية إحدى الليالي القمرية، فبينما كانوا يحتفلون ظهر رجل مجهول

الهوية بشكل غريب، كان طويل القامة وقوي البنية، فطلب من أهل القرية أن يسلّموه ثلاث فتيات شابات والأكثر جمالا كقربان وإلا تحوّل فورا إلى وحش مفترس. لكن زعيم القرية رفض طلبه فتحوّل ذلك الرجل إلى وحش في ثوان معدودة من رفض الطلب. وبذلك أباد الجميع بوحشية دون أن يترك أي واحد منهم على قيد الحياة، حقّا لقد كانت مجزرة وبعدها اختبأ ذلك الوحش وسط الغابة، وحسب ما يشاع فتلك الغابة هي التي نتواجد فيها الآن..."

فختم الحكاية وقال:
ـ لهذا كونوا حذرين !
ـ أتمنى أن لا يكون الأمر حقيقيا وإلا تعرفون ماذا سيحدث يا فتيات ! ــ علّق فرنسيسكو ضاحكا ــ.
ـ إنّها مجرّد أسطورة قديمة يا أصدقاء ! ــ تدخل إكناصيو ــ.
ـ إنها مجرّد أقاويل ! ــ صرّح خايمي ــ.
ـ أنتم لا تعرفون شيئا على الإطلاق، لكن عاجلا أم آجلا ستغيّرون رأيكم وسوف تصدقون ما لا يصدق كما يقول المثل: " ما لا تراه عيناك لا تصدق حتى نصفه" ــ قالت راكيل بصوت حزين ــ.

ثم علّق خايمي قائلا:
ـ ما الذي تقوله هذه المرأة ؟ إنّي أجدها غريبة الأطوار.

ـ من فضلكم أتركوها بسلام، فهي هكذا منذ أن فقدنا ابنتنا ــ وضّح روبِن ــ.
ـ أنا آسف جدّا، لم أكن على علم بهذا ــ اعتذر خايمي ــ.
ـ ليس هناك مشكلة، كل شيء سيكون على ما يرام ــ أضاف روبِن ــ.

صمتت المرأة راكيل، وكان باديا عليها علامات الحزن، ربّما تذكرت شيئا سلبيا وقع لابنتها، لذلك حاول البقيّة تغيير الموضوع والحديث عن شيء آخر.

ـ معذرة يا سيّد روبِن، ما هو عملك ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ إنّي كاتب !
ـ لهذا الحكاية التي قصصتها لنا منذ قليل كانت متكاملة كما لو وقعت فعلا، أليس كذلك ؟ ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ حسنا، أحيانا لا نستطيع التمييز بين الواقع والخيال ــ قال روبِن ــ.
ـ نعم، أنت على صواب، ففي بعض الأحيان نجد الأشياء الخيالية حقيقية والعكس صحيح، لهذا يجب أن نكون حذرين ــ ردّ إكناصيو ــ.
ـ هذا بالضبط ما أرادت زوجتي أن تقوله لكم منذ قليل ــ شرح روبِن ــ.
ـ أجل، إن الأمر صار واضحا الآن ــ تدخل خايمي ــ.

على هذا المنوال تابع الجميع الحديث بوديّة و سلام إلى أن ظهر كلب كبير الحجم بين الأشجار بالقرب منهم مكسّرا الهدوء بنباحه القوي.

حينذاك قفز الجميع من مكانهم، حيث أحسّ البنات بقشعريرة تجري في عروقهم وفجأة تسارعت دقّات قلبهم. فقد كان الكلب ينبح بصورة غريبة واللّعاب يسيل من لسانه كما لو كان مصابا بالسّعار. في ذلك الوقت حاول كل من خايمي وفرنسيسكو تهدئة الفتيات، بينما المرأة راكيل لم تكن خائفة بل كانت هادئة كما لو لم يحدث أي شيء أمامها.

ـ اهدئي يا عزيزتي، إنه كلب فقط ــ قال خايمي لخطيبته ــ.
ـ اجلسي يا إلِينا ولا تتحرّكي من مكانك ــ أمر فرنسيسكو ــ.

في تلك اللحظة حمل روبِن وإكناصيو عودا مشتعلا واقتربا ببطء من الكلب وعندما صارا قريبين جدّا منه قذفا ذلك العود بشجاعة في اتّجاه الكلب الذي شعر بالخوف الشديد وركض وسط الغابة ثم اختفى بشكل تام مسبّبا رعبا وخاصة بالنسبة للفتاتين لوْرا وإلِينا. فجأة صاح روبِن مبتسما:
ـ لقد انتهى فيلم الرعب !
ـ لقد هرب الجبان وإلا كنت قد قتلته ــ عبّر إكناصيو بنبرة جادة ــ.

ثم أضاف روبِن قائلا:
ـ وأخيرا يمكنكم الجلوس في سلام يا أصدقاء !
ـ إن المغامرة فقط بدأت الآن، ولا نعرف ما الذي سيحدث غدا أو في المستقبل القريب يا أصدقاء ــ علّق خايمي ــ.

ثم قال روبِن محرّكا حاجبيه:
ـ أجل كما يقول المثل: " كل يوم يأتي بمفاجآته".
ـ إن الحدث الذي عشناه منذ قليل كان حقيقيا أكثر من الحكايتين التي قصصتموها من قبل، أليس كذلك ؟ ــ قال إكناصيو مقهقها ــ.
ـ أنا متأكد أن ذلك الكلب سوف يحفر قبره بنفسه ــ صرّح روبِن ــ.
ـ كيف علِمت ذلك ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.

ثم أجاب روبِن بهدوء قائلا:
ـ إنه مجرّد حدس يا صديقي! أو إنها التجربة كما يقول المثل: " من عاش ليلة أكثر منك انتصر عليك بحيلة".
ـ إن هذه الليلة ليلة خاصة بالأمثال ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ أنا أشعر بالنعاس كما أني متعبة ــ أعلنت إلِينا ــ.
ـ أنا كذلك أريد النوم لأستريح ــ قالت راكيل ــ.
ـ لا يمكن أن ننام كلّنا دفعة واحدة، يجب أن نقيم الحراسة بالدور ــ تدخل روبِن ــ.
ـ يجب على الأقل أن يحرس اثنين منّا ــ قال خايمي ــ.

ـ أنا سأحرس أولا لآني لا أشعر بعد بالنوم ــ صرّح روبِن ــ.
ـ أنا سأحرس معك لكن لمدّة ثلاث ساعات فقط ــ قال إكناصيو ــ.

ثم قال فرنسيسكو:
ـ إذن أنا وخايمي سوف نحرس بعدكما، اتفقنا ؟
ـ موافق، يمكنكم الخلود للنوم في سلام يا أصدقاء ! ليس هناك ما يدعو للقلق ــ ختم روبِن كلامه ــ.
ـ ليلة سعيدة ! ــ قال البقيّة ــ.
ـ ليلة سعيدة يا أصدقاء ــ ردّ إكناصيو ــ.

بهذه الطريقة نام الجميع بالدور ومرّت الليلة بسرعة دون مشاكل تذكر. تلك الليلة كانت أول ليلة قضوها معا وسط الغابة إذ لم يكن لهم أي خيار آخر، ففي بعض الأحيان الأشياء تحدث بشكل مفاجئ لكن يجب مواجهة أي وضعية وتجاوز الصعاب بصبر وحكمة وشجاعة.

● ● ● ● ● ●

حلّ الصباح، وأشعة الشمس اخترقت الأشجار لتصل إلى الخيمتين، ومن بعيد تُسمع زقزقة العصافير. بمجرّد أن استيقظ الأصدقاء خرجوا من الخيمتين وأحسوا بدفء الشمس في ذلك الصباح، لكن بسرعة لاحظوا غياب صديقهم إكناصيو. فتبادلوا تحيّة الصباح:

ـ صباح الخير يا أصدقاء ! ــ قال خايمي ــ.
ـ صباح الخيرــ أجاب البقيّة ــ.
ـ هل رأيتم إكناصيو ــ سأل فرنسيسكو ــ.

فأجاب خايمي قائلا:
ـ لا، أظن أنه كان نائما معكم في الخيمة، أليس كذلك ؟
ـ عندما انتهى دورنا في الحراسة البارحة ذهب للنوم في خيمة فرنسيسكو ــ تدخل روبِن ــ.
ـ أجل، لقد كان في الخيمة نائما دقائق قبل شروق الشمس ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ لا داعي للقلق، أعتقد أنه في مكان ما في الغابة ولن يبتعد من هنا كثيرا ــ رأت إِلِينا ــ.
ـ ماذا لو حصل له مكروه ما ؟ ــ تساءلت راكيل ــ.
ـ يجب أن ننتظر لبعض الوقت قبل الذهاب للبحث عنه، اتفقنا؟ ــ أضافت إِلِينا ــ.
ـ نعم، هذا بالضبط ما أردت قوله ــ قال خايمي ــ.
ـ حسنا، كما تريدون، لننتظر هنا لبعض الوقت قبل القيام بأي شيء ــ رأى روبِن ــ.

في تلك اللحظة ومن بعيد شاهدوه قادما نحوهم وبيده كيس بلاستيكي أبيض اللون، فاقترب منهم بخطوات ثقيلة، حيث كان سعيدا ومسرورا بابتسامة مرسومة على شفتيه قبل أن ينطق بصوت مرتفع قائلا:

ـ صباح الخير يا أصدقاء ! وأخيرا استيقظتم !
ـ أين كنت ؟ لقد كنّا منشغلين من أجلك ــ أعلن فرنسيسكو ــ.
ـ فقط قمت بجولة حول الغابة كي أعرف إذا ما كان هناك شيء غريب في هذا المكان، فقد شعرت بالفضول ــ أجاب إكناصيو ــ.
ـ ماذا لديك في الكيس البلاستسكي ؟ ــ سألت لوْرا ــ.
ـ آه ! لقد نسيت أن أخبركم أني قد وجدت بعض الفواكه اللذيذة وسط الأدغال ــ قال إكناصيو ــ.

ثم عبّر خايمي عن غضبه قائلا:
ـ لا تفعل أبدا مثل هذا الأمر يا صديقي. لقد كنا قلقين ومنشغلين لاختفائك، إذ لم يكن لدينا أدنى فكرة عن مكان تواجدك دون أن تخبرنا مسبقا بذلك. لهذا أرجو أن لا يقوم أي كان بهذا الأمر مرة أخرى على الإطلاق، وممنوع القيام بذلك ولو مجرّد التفكير. أظن أن الأمر واضح، أليس كذلك ؟
ـ أنا آسف جدّا يا أصدقائي ! لم أكن أعرف أنني سأسبب لكم مشكلة ما، سوف لن يتكرر هذا الأمر مجدّدا ــ اعتذر إكناصيو ــ.
ـ لا تقم مجدّدا بالحماقات، إننا لا نريد حصول مشاكل أكثر ويكفي الذي نحن بصدد عيشه ــ قالت إلينا ــ.

حينذاك طلبت لوْرا أن يعطيها بعض الفواكه التي جلبها كي تتناولها كوجبة للفطور، فأعطاهم الكيس البلاستيكي بسرور

كي يأخذوا منه ما شاءوا لأنه هو قد تناول بعضا منها في طريق العودة إليهم. بذلك اقتسم الأصدقاء في الحال الفواكه وأكلوها بالكامل نظرا لكونها لذيذة لا تقاوم.

ـ يالها من فواكه لذيذة ! ــ علّق فرنسيسكو ــ.
ـ نعم، إنّ طعمها لذيذ للغاية ــ رأت كذلك لوْرا ــ.
ـ يا له من مذاق لا يصدق ! ــ قالت راكيل ــ.

من تم سأل روبِن إكناصيو قائلا:
ـ أين وجدت هذه الفواكه ؟
ـ في مكان ليس بعيدا جدا من هنا في اتّجاه الغرب ــ أجاب إكناصيو ــ.
ـ حسنا يا أصدقاء، يجب أن نفكك الخيام ونجمع أغراضنا لنكمل رحلتنا نحو الشمال ــ صرّح خايمي ــ.
ـ نعم، أنت على صواب، يجب أن نستغل النهار قبل أن تظلم من جديد ــ وافقه إكناصيو الرأي ــ.
ـ هيّا إلى العمل يا شباب ! ــ أمر روبِن ــ.

على هذا المنوال سارع الجميع إلى التعاون فيما بينهم، فكل واحد منهم تكلّف بأمر ما للانتهاء بسرعة. وبذلك خلال ساعة من الزمن كانوا قد انتهوا من القيام بما يجب وكانوا جاهزين لمتابعة وجهتهم المجهولة. فأمرهم فرنسيسكو بحماس قائلا:

ـ هيّا بنا ! لقد حان موعد الرحيل يا أصدقاء، فالوقت يمر بسرعة.
ـ مرّة أخرى سوف نتجه نحو وجهة نجهلها بشكل كلّي ــ قالت لوْرا ــ.
ـ ليس لدينا خيار آخر يا عزيزتي ! ــ ردّ عليها خايمي ــ.
ـ فقط القليل من الصبر وسنخرج من وسط الغابة ــ تدخّل روبِن ــ.
ـ هذا ما أتمناه من أعماق قلبي ــ عبّرت إلينا ــ.
ـ إن سوء الحظ يطاردنا كما قال أجدادنا: تطول السنوات وتكثر المشكلات ــ قالت راكيل ــ.
ـ راكيل ! إنه قدرنا ولا نستطيع تغييره مطلقا، كما تعلمين جيّدا المثل الذي يقول: " ليس هناك حيلة لمواجهة المجهول" ــ قال روبِن ــ.
ـ مرّة أخرى الأمثال ! أنا لا أريد البقاء هنا وسط الأدغال، لذا سوف أغادر فورا، ومن يريد نفس الشيء فليتبعني ــ أعلن خايمي ــ.
ـ هيّا بنا جميعا فورا ! ــ أمر روبِن ــ.

بذلك تشجّع الكلّ وتبعوا خايمي متجهين نحو الشمال على أمل الوصول إلى هدفهم. فالأدغال كانت كبيرة ليس كما كانزا يتوقعون، وبعد ساعتين أو ثلاث ساعات مشيا على الأقدام أحسّت لوْرا أنها بحاجة إلى التبوّل فصاحت قائلة:
ـ ها ! انتظروني من فضلكم، سوف أتبوّل.

ـ حاضر، سوف نستغل الوقت للاستراحة لمدّة ربع ساعة ــ قال روبِن ــ.
ـ هذا من حسن حظي، إني تعبت من كثرة المشي في هذه الغابة اللعينة ــ قالت راكيل بصوت مرتفع شيئا ما ــ.
ـ أنا أيضا تعبت ــ صرّحت إِلينا ــ.

هكذا توقف الجميع كي يستريحوا ولينتظروا صديقتهم لوْرا التي ذهبت ببطء إلى مكان مناسب بين الأشجار. وعند الانتهاء فاجأها الكلب حيث كان قريبا جدّا منها حيث كانت خائفة جدّا وشعرت بقشعريرة تسري في عروقها مع ارتفاع دقات قلبها التي تُسمع في أذنيها، ثم فجأة أخذت تركض بسرعة صارخة بقوّة.

في تلك اللحظة اقترب روبِن بمهارة من الكلب وفي يده قطعة من حديد صدئ التي وجدها مرمية في الأرض بالصدفة، فوجّه للكلب ضربة قويّة على رأسه فمات في الحال ساقطا على الأرض. بعده بثوان اقترب البقيّة فورا من لوْرا التي مازالت مرتعبة لتهدئتها حيث قال لها خايمي:

ـ اهدئي يا عزيزتي، لقد انتهى الأمر !
ـ لم يعد هناك من داع للخوف، فالكلب قد مات ــ أعلن فرنسيسكو ــ.

ـ لقد قال روبِن البارحة أن الكلب سوف يموت، هذا أمر غريب! ــ تعجّب إكناصيو ــ.
ـ أجل، الآن يجب أن ندفنه ــ اقترح روبِن ــ.
ـ لا داع للقيام بذلك، إنّه كلب ملعون ولا يستحق أن يدفن ــ رأى خايمي ــ.
ـ أعتقد أن روبِن على صواب، يجب أن ندفنه، ففي الأخير يبقى حيوانا وينبغي معاملته معاملة حسنة، أليس كذلك؟ ــ أضاف فرنسيسكو ــ.
ـ حسنا كما تريدون ! قبل خايمي ــ.

بعد دفن الكلب أراد الأصدقاء متابعة الرحلة لكن خايمي كانت لديه شكوك أنهم لا يتجهون نحو الشمال قائلا:

ـ يا أصدقاء! هل أنتم متأكدون أننا نتّجه نحو الشمال ؟
ـ ليس لدي أدنى فكرة ــ قال فرنسيسكو ــ.

ثم تدخل روبِن قائلا:
ـ لا داعي للقلق، فهناك طريقة قديمة ستساعدنا في تحديد الشمال بدون بوصلة.
ـ كنت أعرف هذا، لكن في هذه اللحظة لا أتذكرها ــ صرّح إكناصيو ــ.
ـ لكن كيف ذلك؟ ــ تساءلت إِلينا ــ.

ـ المسألة سهلة، فكلّ ما نحتاجه هو عود أو أي شيء طويل ــ ردّ روبِن ــ.

من تم أخذ روبِن عودا من حجم صغير لكنّه طويل وأدخله في الأرض بشكل عمودي كي يستطيع رؤية ظلّه، بعدها وضع حجرة صغيرة الحجم كي يحدّد موقع الظل في البداية.

فسارعت آنذاك لوْرا لسؤاله قائلة:
ـ والآن ماذا ؟
ـ هذا جيدا يا لوْرا، إني مسرور فأنت الآن أفضل حالا من قبل. الآن يجب أن ننتظر عشر أو خمس عشرة دقيقة ــ أجاب روبِن ــ.

وبعد خمس عشرة دقيقة أخذ روبِن حجرة أخرى من حجم صغير كذلك ووضعها حيث أصبح موجودا ظل ذلك العود، ثم قال:
ـ كما تلاحظون يا أصدقاء، فقد تحرّك الظل قليلا من مكانه.
ـ وماذا بعد ذلك ؟ ــ سأل فرنسيسكو بفضول ــ.

حينذاك تدخل إكناصيو قائلا:
ـ الآن تذكرت، إذ يجب رسم خط مستقيم بين الحجرتين الصغيرتين.
ـ ما هو دور هذا الخط ؟ ــ سأل خايمي ــ.

ـ هذا الخط يحدّد جهة الشرق والغرب ــ وضّح روبِن ــ.
ـ حسنا، أين هو الشمال إذن ؟ ــ تساءلت إلِينا ــ.

فأجاب روبِن قائلا:
ـ الآن سأقِف تاركا الحجرة الأولى التي هي جهة الغرب على يدي اليسرى والحجرة الأخرى على يدي اليمنى التي هي جهة الشرق؛ وبذلك يكون الشمال أمامي بالضبط.

بسماع ذلك علّق خايمي قائلا:
ـ إنّك شخص ذكي وعبقري يا صديقي !
ـ إذن لقد كنا في الاتّجاه الصحيح منذ البداية ــ صرّح فرنسيسكو ــ.
ـ أجل، الأمر كذلك ــ أكّد روبِن ــ.
ـ هيّا بنا! لنتابع رحلتنا ــ أمر خايمي ــ.
ـ لنتابع طريقنا الغير المنتظر ! ــ قالت راكيل بتجهم ــ.

بصراحة لم يكن الطريق سهلا كما توقّعوا، فالأدغال كانت مليئة بحشرات عديدة كانت تلسعهم بين الفينة والأخرى، كما كانت الأرض ممتلئة بالحجارة وبقايا الأشجار والتي كانت تشكل جزءا من العقبات دون نسيان التعب من كثرة المشي، إضافة إلى الحرارة خلال المساء وكذا خطر هجوم غير منتظر لحيوان متوحش ما. فالوضعية كانت معقدة وصعبة المواجهة، وتتطلّب الكثير من القوّة والإرادة والشجاعة

لإكمال المسيرة. فجأة صرخت لوْرا من شدة الألم بسبب التواء رجلها ولم تعد تستطيع المشي فجلست على الأرض ليضطر الجميع للتوقف من أجل مساعدتها، حيث اقترب منها خايمي سائلا إياها بقلق:

ـ ما الذي حدث لك يا عزيزتي ؟
ـ لقد التوى كاحلي ولا أقوى على المشي ــ أجابت لوْرا ــ.
ـ لا تتحرّكي وظلي جالسة ــ طلب منها روبِن ــ.

أخرج روبِن من حقيبته سكينا كبيرا حادا وبدأ يقطع غصنا ويعمل بمهارة وإتقان. وعلى هذا المنوال انتهى عمله بصنع عكّاز انطلاقا من ذلك الغصن كي تتكئ عليه لوْرا لتستطيع المشي، فنطق مخاطبا إياها:

ـ خذي تستطيعين استعمال العكاز كي تمشي.

فتدخل إكناصيو قائلا لروبِن:
ـ في البداية قتلت الكلب بمهارة، ثم ساعدتنا على تحديد جهة الشمال، والآن صنعت العكاز، لهذا لديَّ الحق لأسألك من تكون أنت ؟
ـ نعم، ما هو عملك بصراحة ؟ ــ سأله خايمي ــ.
ـ كلّنا لدينا الحقّ في معرفة كلّ الحقيقة بوضوح ــ أضافت إلِينا ــ.

بذلك اضطرّ روبِن لتوضيح الأمر قائلا:
ـ حسنا سوف أخبركم مادمتم تصرّون على ذلك؛ في الحقيقة كنت أعمل في الجيش، كما أنّني درست الطب.
ـ عسكري! ــ تعجّب إكناصيو ــ ، ثم أضاف قائلا: حسب معلوماتي فأغلب العسكريين وخاصة الرؤساء منهم يعرفون الكثير حول الكتاب الخاص بكيفية البقاء على قيد الحياة للجيش، أليس كذلك؟
ـ طبعا، وأظن أن الأمر سيان في كل العالم بدون استثناء ــ أكّد روبِن ــ.
ـ حسنا، أخبرنا إذا ما كذبت أو أخفيت شيئا ما عنّا ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ بالطبع لا، هذا كل ما في الأمر ــ طمأنهم روبِن ــ.
ـ أتمنى أن يكون ذلك صحيحا ــ علّق إكناصيو ــ.

بعد هذا النقاش البسيط فيما بينهم، تابع الجميع مشيا في اتجاه الشمال دون أن يفقدوا الأمل للوصول إلى مدينة بامْبْلونا، لكن في تلك اللحظات بدأت راكيل تتفوّه بصوت منخفض بأشياء غريبة وغير مفهومة:

ـ لقد اقتربنا من الوصول إلى ذلك الكوخ اللعين!
كرّرت المرأة راكيل نفس الكلمات لعدّة مرّات، فثار فضول خايمي متسائلا:
ـ ما الذي تقوله؟

ـ أعتقد أنها قالت كوخا ــ ردّ فرنسيسكو عليه ــ.
ـ أجل، أظنني سمعت نفس الشيء ــ أكّد إكناصيو ــ.

وفي الحال تدخّل روبِن بغضب قائلا:
ـ لم تقل أي شيء، لقد أخبرتكم من قبل أنها أحيانا تهذي، لذا أكرر من جديد أن تتركوها في سلام حتى لا تتعقّد الأمور، اتفقنا ؟

فحاول إكناصيو تهدئة روبِن مصرّحا:
ـ اهدأ يا رجل! إننا لم نفعل شيئا خطيرا يستحق ردّة فعلك هاته.

حينذاك صمت الجميع دون المزيد من النقاش.

مرّت حوالي ثلاثون دقيقة بعد تلك المناقشة البسيطة، فقد كانت السيّدة راكيل في مقدّمة المجموعة معلنة بصوت مرتفع وجود كوخ:
ـ انظروا، هناك كوخ!
ـ كوخٍ! ــ تعجّب إكناصيو ــ.

اتّجه الأصدقاء نحو المكان الذي أشارت إليه راكيل بيدها، فقد كان كوخا قديما لكن في وضعية جيّدة، حيث اقتربوا منه بحذر شديد وخائفين من أن يكون مسكونا من طرف عصابة من

السارقين باستثناء روبِن الذي اقترب من الكوخ بشجاعة واتّجه مباشرة لفتح بابه بكل ثقة كما لو كان معتادا على ذلك وليس للمرّة الأولى. بعد ذلك تبعه الآخرون ودخلوا إلى هناك. لقد كان الكوخ واسعا ومرتّب بانتظام؛ ففي الوسط توجد طاولة كبيرة مستطيلة الشكل وحولها ثمانية كراسي من الخشب. وفي أقصى اليسار كان هناك صوان خشبي بني اللون ذو حجم متوسط به أربعة رفوف وله بابان زجاجيان محاطان بالخشب في الجوانب، بداخله بعض العلب لأغذية مختلفة: جلبانة وفول ولوبيا بيضاء وتونة وسمك. كما كان بداخله مشروبات غازية ومشروب النبيذ، لكن لم يكن هناك قارورات ماء ولا قطع من الخبز. وبجانب ذلك الصوان كانت هناك علبة مليئة ببعض الأدوية. إضافة إلى كل ذلك كان هناك أفرشة للنوم.

● ● ● ● ● ●

كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة من منتصف النهار، وكانت كارْمِن في المطبخ تحضر الطعام، بينما كان خراردو في مكتبه. فجأة رن جرس المنزل مرتين، فتوجّهت كارْمِن فورا لفتح الباب فوجدت السيّد فِسِنْتي وزوجته إرِيني اللذان كانا منشغلا البال لانعدام أي خبر عن ابنتهما لوْرا منذ اليوم الأول من سفرها إلى مدينة بامْبْلونا، فتبادلا التحية:

ـ صباح الخير! ــ قالا كل من فِسِنْتي وإرِيني ــ.

ـ صباح الخير! ــ ردّت كارْمِن ــ.
ـ معذرة عن الازعاج ــ اعتذرت إرِيني ــ.
ـ ليس هناك أي مشكلة، تفضلا بالدخول من فضلكما! ــ قالت كارْمِن ــ.

دخل السيد فِسِنْتي وزوجته وجلسا على الأريكة المتواجدة وسط البهو، وطلبت منهما السيدة كارْمِن الانتظار هناك لتنادي على زوجها، فعادت بسرعة مع زوجها خراردو الذي سارع إلى السلام على ضيفيه قائلا:

ـ أهلا وسهلا بكما! يسعدني رؤيتكما هنا في منزلي.
ـ مرحبا يا سيد خِراردو! ــ ردّ فِسِنْتي ــ.
ـ هل تريدان أخذ مشروب ما ؟ ــ سألتهما كارْمِن ــ.
ـ لا، شكرا لكِ ــ رفضت إرِيني ــ.
ـ لقد كنت أودّ زيارتكما في المساء لأسألكما إذا ما كان لديكما خبر حول الفتيان ــ صرّح خِرارْدو ــ.
ـ في الحقيقة جئنا إلى هنا من أجل نفس السبب لأننا لم نستطع الاتّصال هاتفيا بابنتنا ــ وضّحت إرِيني ــ.
ـ إذن أنتم أيضا قلقون ــ لاحظت كارْمِن ــ.
ـ نعم منذ البارحة ــ أكّد فِسِنْتي ــ.
ـ ماذا سنفعل الآن؟ ــ تساءلت إرِيني ــ.
ـ أعتقد أنني غدا سوف أخبر الشرطة فلا خيار لنا في الوقت الحالي ــ قال خراردو ــ.

ـ أنا متّفق معك تماما ــ ردّ فِسِنْتي ــ ، ثم أضاف قائلا:
ـ أتمنى أن يكونوا بخير، فقد بدأت أقلق وخاصة في البداية ظننت أن هناك مشكل في شبكة التغطية، لكنني الآن متأكد أن الأمر ليس كذلك على الإطلاق.

ثم عبّرت إرِيني عن رأيها وهي قلقة:
ـ نحن أيضا اعتقدنا نفس الشيء، لكن الآن أنا متأكدة من أنه قد حصل لهم خطب ما وأرجو أن لا يكون خطيرا.
ـ حسنا، الآن يجب أن نغادر وسنظل على اتّصال فيما بيننا في حالة ما استجد أمر ما ــ أضاف فِسِنْتي ــ.
ـ حاضر كما تريدون ــ قال خراردو ــ.
ـ إلى اللقاء ــ أنهى فِسنتي حديثه ــ.
ـ إلى اللقاء ــ ردّ كلّ من خراردو و كارْمِن في آن واحد ــ.

وبذلك غادر والدي لوْرا واتّجها إلى منزلهما محبطين وحزينين متمنيين رؤية ابنتهما قريبا جدّا.

● ● ● ● ● ●

♦ **<u>اليوم الأول في الكوخ</u>:**

ـ يا لها من روعة! يا لها من روعة! ــ كرّرت لوْرا ــ.

ـ شكرا لله لدينا مكان حيث يمكننا البقاء لبضعة أيام ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ طبعا سوف نقضي هنا هذه الليلة على الأقل ــ وافق خايمي ــ.

آنذاك أومأ رأسه بالقبول قائلا:
ـ أكيد سوف نبقى هنا ليومين أو ثلاثة أيام إلى غاية استطاعة صديقتنا لوْرا المشي دون مساعدة العكاز.

جلست لوْرا على كرسي بينما كان كلّ واحد من البقية يبحث في المكان بفضول، فجأة انغلقت الباب لوحدها فصرخت إِلينا من شدّة الخوف. وحينذاك تدخّل روبِن ليطمئنهم قائلا:
ـ هدوء من فضلكم! لقد انغلقت بسبب مجرى الهواء، انظروا إلى هناك، في الأعلى توجد نافذة مفتوحة.
ـ أجل إنه الريح ولا داعي للقلق ــ أكّد إكناصيو ــ.
ـ إنني جائعة جدّا ــ أعلنت راكيل ــ.
ـ أنا كذلك جائعة، إننا لم نتناول شيئا منذ صباح اليوم ــ قالت لوْرا ــ.

ثم قال خايمي:
ـ إني أموت جوعا !
ـ وأنا لديّ رغبة قويّة لآكل كل ما هو موجود من طعام هنا ــ صرّح فرنسيسكو ــ.

ـ يا أصدقاء! يجب أن نأكل فقط ما هو ضروري للبقاء على قيد الحياة لأننا لا نعرف كم من الوقت سوف نظل هنا إلى غاية وصولنا إلى هدفنا ــ رأى روبِن ــ.
ـ أنا متّفق معك تماما يا روبِن، يجب أن نأكل باعتدال ودون إسراف، وخاصة أنه لا نملك الكثير من الطعام كما تعلمون ــ قال إكناصيو ــ.
ـ أنا فعلا متفقة معكم، بهذا الشكل سوف نستطيع البقاء على قيد الحياة لمدّة أطول، وأتمنى أن نصل إلى هدفنا دون أي مفاجآت ــ صرّحت إلِينا بعقلانية ــ.
ـ حسنا، اجلسوا على الطاولة من فضلكم، سوف أحضر الطعام في الحال ــ طلب روبِن من الآخرين ــ.

حينذاك تدخلت إلِينا قائلة:
ـ كيف لم يتساءل أحدكم لمن هذا الكوخ وهذا الطعام؟

في تلك الأثناء تمْتمت السيدة راكيل:
ـ من الأفضل أن لا تعرفوا لمن هذا الكوخ !

بمجرّد سماع كلماتها الغريبة تبادل البقية النظرات فيما بينهم دون أن ينبسوا ولو بكلمة واحدة، إذ لم يتجرؤوا على الكلام لأن زوجها أكيد أنه سوف يعيد نفس الذي قاله لهم من قبل، لذلك بدأوا يتناولون الطعام في صمت وأعينهم متجهة صوب صحون الطعام حتى لا يتفوهوا بشيء من شأنه أن يسبب

مشكلا ما. لكن بشكل مفاجئ عادت راكيل لتتفوّه بأشياء أخرى غريبة لا معنى لها بالنسبة للجميع باستثناء زوجها الذي حاول منذ البداية إخفاء معلومة مهمة جدّا. فكان ما تفوّهت به هو أنه فقط في الكوخ يمكنهم الأكل دون نتائج سلبية قد تصيب جسدهم.

نظر خايمي إلى أصدقائه نظرة غريبة تنِمّ عن قلقه العميق قبل أن يصرّح قائلا:
ـ إن الطعام لذيذ بالرغم من الوضعية الغير المنتظرة التي نتواجد فيها حاليا، وإن آباءنا أكيد قلقون جدّا لعدم اتّصالنا بهم هاتفيا، لكن لدينا على الأقل بعض الطعام والشراب والمكان حيث نستطيع النوم.

عندئذ تدخّل فرنسيسكو معبّرا عن رأيه قائلا:
ـ لكن قد نسيتم أنّ جسمنا في حاجة إلى لترين من الماء الصالح للشرب بشكل يومي، والماء كما تعلمون هو العنصر الأكثر أهمية للبقاء على قيد الحياة.

ثم تدخّل إكناصيو بذكاء قائلا:
ـ أعتقد أنه حيث يوجد كوخ لابد من تواجد الماء في مكان قريب منه، فقط يجب أن نبحث عنه.
ـ ما رأيك يا إكناصيو لو قمنا بجولة في النواحي ــ اقترح خايمي ــ.

ـ حسنا كما تريد ــ قبل إكناصيو ــ.
ـ كونا حذرين، إننا لا نعرف إذا ما كان هناك خطر في هذا الموقع ــ حذّر روبِن ــ.
ـ لا تقلق، سنكون متيقظين ــ طمأن إكناصيو ــ.

حينذاك طلبت إلِينا أن ترافقهما لكن خايمي رفض ذلك وأمرها أن تبقى مع صديقتها لوْرا، كما نصحها فرنسيسكو أن تظلّ معهم إلى غاية أن يتأكدوا من أنه ليس هناك أي خطر، ثم قال إكناصيو:
ـ حسنا يا أصدقائي، سوف نذهب، إلى الملتقى!
ـ إلى اللقاء ــ ردّ البقية ــ.

لقد كان ذلك المكان رائعا، كل شيء كان أخضر اللون، والشمس تلمع باعثة نورها في كل الجوانب، والسماء صافية، وكانت العصافير تطير وتقفز من غصن لآخر مغرّدة بانسجام تام. كما كانت الفراشات تتنقل من زهرة لأخرى بكل حريّة، وأوراق الأشجار يحرّكها الريح بين الفينة والأخرى مصدرة حفيفا يمتع السامعين.

كان الصديقان خايمي وإكناصيو يمشيان هناك ببطء مستكشفين ذلك المكان ومتمتّعين بالنسيم العليل، إذ كان يبدو عليهما الفرح بالرغم من الوضعية التي كانا يعيشونها،

وبسرعة سمعا خرير المياه، فتوغلا أكثر في نفس الاتّجاه حتى سمعا خرير المياه بشكل واضح.
ـ هل سمعت ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ ماذا ؟ ــ ردّ خايمي ــ.
ـ خرير المياه.
ركّز خايمي لوهلة من الزمن لسماعه قبل أن يقول مشيرا بيده:
ـ أجل أنت على صواب، أظن أنّ هناك نهراً في هذا الاتّجاه.

في تلك الأثناء ركض الاثنان نحو الغرب يدوسون النباتات، إذ كان لديهما رغبة شديدة لإيجاد الماء، وخلال ثوان معدودة توقّفا أمام نهر صغير، وبمجرّد رؤيته صرخ خايمي بصوت عال:
ـ وأخيرا وجدنا الماء!
ـ نعم، في المرّة القادمة سنحضر معنا قارورات لنملأها بالماء ــ قال إكناصيو ــ.
ـ إن النهر ليس بعيدا كما قلت من قبل، فحيث يوجد كوخ يوجد الماء ــ صرّح خايمي ــ.
ـ بالطبع يا صديقي ــ أكّد إكناصيو ضاحكا ــ.

اقترب الاثنان أكثر فأكثر من النهر وغسلا وجههما بعد أن شربا الماء بواسطة يديهما. فعلى ما كان يظهر فقد كانا سعيدين لإيجادهما ذلك النهر في وقت قصير وقد كان ذلك

بمثابة عمل أشخاص ذوي تجربة مادام خايمي قضى معظم عطل الصيف في البادية مع خالته وأبناء خالته، بينما إكناصيو محقق خاص بذكاء خارق. وبعد ذلك جلسا بجانب النهر ليستريحا لبرهة وشرعا في الثرثرة بكلّ حريّة، فسأل خايمي صديقه إكناصيو بفضول:
ـ في رأيك لمن يكون ذلك الكوخ؟

فأجاب إكناصيو بعقلانية:
ـ أنا متأكد أن هناك شيئا غريبا وغير مفهوم، إذ لا يمكن أن يكون هناك كوخا وسط غابة لا يسكن به أحد، وخاصة أنّه نقيّ، إضافة إلى تواجد طعام وأفرشة للنوم. إنّي متيقن أن هناك شيئا ما غير مفهوم.
ـ ربما نحن في خطر إذا ما كان الكوخ لعصابة من المجرمين ــ صرّح خايمي بتخوّف ــ.
ـ لا أدري، لكن الشيء المبهم هو لماذا تركوا الباب مفتوحا، كما أن راكيل زوجة روبِن قد تكلّمت عن ذلك الكوخ قبل أن نجده، هل تتذكر ذلك ؟
ـ طبعا أتذكر الأمر ــ أكّد خايمي ــ.

حينذاك بدا خايمي منشغل البال لكونه ترك خطيبته وأصدقاءه مع ذلك الرجل الغريب.

ـ بصراحة إنني لا أثق على الإطلاق في السيّد روبِن ــ أعلن إكناصيو ــ.
ـ وأنا كذلك لأنه يكذب، فقد قال لنا في البداية أنه كاتب، وبعدها قال أنه كان عسكريّا...؛ إنّه يعرف الكثير من الأشياء، كما أن زوجته كانت تتكلّم بشكل غريب طوال رحلتنا ــ شرح خايمي ــ.
ـ يجب أن نكون حذرين حتى نتحقق من الأمر المخفي ــ أضاف إكناصيو ــ.
ـ الآن لنرحل من هنا! إن الوقت يمرّ بسرعة كما في الامتحانات ــ لاحظ خايمي ضاحكا ــ.
ـ حاضر، لنعد إلى هناك.

بمجرّد وصولهما إلى الكوخ وجد خايمي وإكناصيو الآخرين يتناقشون حول أمر ما حيث كانوا قلقين وحزينين.
ـ ما الذي يجري هنا ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ هيّا، أخبرونا ما الذي حدث ؟ ــ طلب إكناصيو ــ.

في تلك اللحظة كادت السيّدة راكيل أن تبكي قائلة:
ـ لقد اختفى زوجي!
ـ في الحقيقة لقد ذهب ليستطلع المكان ولم يرجع إلى غاية الآن ــ وضّح فرنسيسكو ــ.
ـ إذن يجب علينا أن ننتظر قبل البدء في البحث عنه ــ اقترح خايمي ــ.

ـ لا، فقد قال لنا أنه إذا تأخر في العودة إلى هنا أكثر من ساعة فذلك يعني أنه حصل له مكروه ما ــ قالت إلِينا ــ.
ـ في أي اتّجاه ذهب ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ في اتّجاه الشرق ــ أجاب فرنسيسكو ــ.

ـ حسنا، سوف أذهب للبحث عنه وأنتم انتظروني هنا فلن أتأخر في العودة يا أصدقاء، اتّفقنا ؟

وبذلك ذهب إكناصيو بسرعة للبحث عن روبِن، وعندما كان وسط الغابة بدأ ينادي عليه بصوت مرتفع متنقلا من جانب إلى آخر على أمل العثور عليه واستمر على ذلك النحو لمدّة دقيقتين أو ثلاثة دقائق، وفجأة سمع صوتا منخفضا ينادي عن المساعدة، فاقترب بسرعة من مصدر الصوت إلى أن وصل إلى مكان حيث توجد حفرة فصاح قائلا:
ـ يا روبِن هل أنت هنا ؟
ـ نعم إني داخل الحفرة ــ ردّ روبِن ــ.
ـ هل أنت بخير ؟
ـ أجل.

آنذاك نظر إكناصيو عبر الحفرة ورآه بصعوبة بسبب عتمة المكان، فقد كان روبِن بعيدا ولم يستطع إخراجه من هناك لأن الحفرة كانت عميقة شيئا ما، فقرّر الذهاب لإحضار حبل وكذا من يساعده في إخراجه من هناك، فقال:

ـ روبِن ! انتظر سوف أذهب لإحضار حبل، اتفقنا ؟
ـ حاضر، لكن بسرعة.

من تم أخذ إكناصيو يجري إلى غاية وصوله إلى الكوخ من أجل ربح الوقت قبل أن تغرب الشمس، فقد كان يلهث والعرق يتصبب منه، فسأله فرنسيكو بقلق:

ـ ما الذي وقع لك ؟ هل وجدته ؟
ـ أجل، لقد سقط داخل حفرة.
ـ حفرة ! ــ تعجّب كل من خايمي و راكيل في آن واحد ــ.
ـ نحتاج حبلا طويلا لإخراجه من هناك ــ أضاف إكناصيو ــ.
ـ لدينا واحد في الحقيبة، سوف أحضره في الحال ــ قالت راكيل ــ.
ـ بسرعة! ــ طلب إكناصيو ــ.
ـ لكن هل هو بخير ؟ ــ تساءلت إلِينا ــ.
ـ أجل، إنّه بخير، لم يحدث له سوء ــ طمأنها إكناصيو ــ.
وجدت راكيل الحبل وقالت لإكناصيو:
ـ خذ الحبل.

أخذ إكناصيو الحبل وطلب من خايمي وفرنسيسكو أن يذهبا معه، فقبلا دون تردّد، وبذلك ذهب الثلاثة مسرعين، إذ بقيت ربع ساعة قبل غروب الشمس لكنّهم وصلوا إلى عين المكان في خمس دقائق، فصاح إكناصيو:

ـ روبِن! هل أنت بخير ؟
ـ أجل، لقد كنت أنتظر قدومكم ــ أجاب روبِن ــ.
ـ لا تقلق، سوف نخرجك في الحال ــ أضاف فرنسيسكو ــ.
ـ الآن سننزل لك الحبل ــ قال خايمي ــ.

أمسك روبِن الحبل فورا وربطه حول خسره بإتقان وإحكام، وبمجرّد أن انتهى أمرهم برفعه نحو الأعلى، فسارع الثلاثة إلى جرّ الحبل بالرغم من صعوبة الأمر، لكن في الأخير تمكنوا من إخراجه من تلك الحفرة بنجاح. وفي تلك الأثناء بدأت الشمس بالغروب، فأسرعوا للعودة إلى الكوخ حتى لا يتعرّضوا لخطر آخر غير منتظر. وفي طريقهم سأل خايمي روبِن قائلا:
ـ كيف سقطت في الحفرة ؟
ـ لقد كانت الحفرة مغطاة بمهارة ولم يكن بالإمكان الانتباه إليها، فأكيد كانت مصيدة للحيوانات ــ أجاب روبِن ــ.
ـ أنت محظوظ لأنك لم تصب بأي أذى ــ علّق فرنسيسكو ــ.
ـ شكرا لكم يا أصدقاء على كلّ شيء، فبدون مساعدتكم كنت سأبقى هناك في الحفرة إلى الأبد.

لقد فرحت الفتيات عند رؤية السيد روبِن يدخل إلى الكوخ وخاصة زوجته راكيل التي اقتربت منه وضمته إليها بحنان وهمست إليه قائلة:

ـ يجب أن تكون حذرا للغاية هنا، فنحن في خطرفي هذا المكان كما تعرفز
ـ لا تقلقي يا عزيزتي، كل شيء سيكون على ما يرام ــ حاول روبِن أن يطمئنها ــ.
في تلك اللحظات تساءل خايمي قائلا:
ـ أين وجدتم هذه القناديل الثلاثة ؟
ـ لقد كانوا معلّقين في ذلك الركن ــ أجابته إِلِينا مشيرة بأصبعها إلى ذلك المكان ــ.
ـ الأمر أهون لأننا لن نقضي الليلة في الظلام ــ علّق فرنسيسكو ــ.

بعد العودة من مهمة الإنقاذ جلس الجميع ليستريحوا ويتحدثوا فيما بينهم.
لقد مرّت ساعتان أو ثلاث ساعات بسرعة، كلّهم كانوا جالسين حول المائدة يتناولون العشاء وكلّ واحد ما يحبّه؛ من لوبياء وفول وجلبانة وكذا القليل من النبيذ. في تلك الأثناء أعلن إكناصيو قائلا:
ـ لديّ خبر جميل يا أصدقاء!
ـ هيّا أخبرنا! ــ طلب فرنسيسكو ــ.
ـ لقد وجدنا نهرا ــ قال إكناصيو ــ.
ـ أين ؟ ــ سألت إِلِينا ــ.
ـ ليس بعيدا جدّا من هنا ــ أجاب خايمي ــ.
ـ الأمر جيّد، لم يعد لدينا مشكل الماء ــ علّقت لوْرا ــ.

ـ غدا سوف نملئ بعض القارورات ــ أضاف خايمي ــ.
ـ سوف أذهب معكم ــ قالت إلينا ــ.
ـ كم هي غريبة هذه الحياة! ــ عبّر فرنسيسكو ــ.
ـ ماذا تقصد ؟ ــ سأل روبِن ــ.
ـ لقد أردنا في البداية السفر إلى مدينة بامْبلونا والآن نقضي العطلة وسط الغابة ــ وضّح فرنسيسكو ــ.
ـ أظن أن القدر دائما يخبئ لنا أشياء ليست في الحسبان ــ تدخلت راكيل ــ.
ـ يجب أن نواجه الصعاب بكل جرأة وشجاعة، فأنا لن أستسلم أبدا ــ قال روبِن بحماس ــ.

عندما انتهوا من تناول العشاء سمعوا صوتا غريبا خارج الكوخ كما لو كان أحدهم جدّ قريب منهم، لذلك أخذ كل من روبِن وإكناصيو وخايمي القناديل لكي يستطلعوا الأمر، ثم تبعهم كل من راكيل وإلِينا. فالمكان كان مظلما وساكنا، حيث ألقى الجميع نظرة حول الكوخ دون أن يعثروا على أي أحد، لهذا قرّروا الرجوع إلى الكوخ لأن البرد قارص في الخارج. وعندما دخلوا سريعا ما انتبهوا إلى اختفاء السيّدة راكيل التي كانت خلف إلِينا عندما قاموا بجولة حول الكوخ.

ـ أين هي زوجتي ؟ ــ سأل روبِن بقلق وغضب ــ

فأجابت إلِينا مندهشة:

ـ لقد كانت خلفي بالضبط ، إنه أمر لا يصدق.
ـ ربما مازالت في الخارج ــ رأى خايمي ــ.

آنذاك أسرع روبِن خارج الكوخ ليبحث عنها مناديا اسمها بصوت مرتفع، وهو ما فعله البقية الذين تبعوه لكن بدون جدوى.
ـ يا راكيل ! هل أنت هنا ؟ ــ قالوا بصوت مرتفع ــ.
ـ شيء غريب! أين يمكن أن تكون في هذه الساعة من الليل ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ لا يمكن! لقد عادوا من جديد! ــ تمتم روبِن ــ.
ـ يجب أن ندخل في الحال، فلا نريد أن نفقد شخصا آخر ــ قال إكناصيو بقلق ــ.
ـ إنّنا في خطر، هيّا بنا إلى الداخل ــ أمر فرنسيسكو ــ.
ـ هيّا يا روبن!، من الأفضل أن تدخل إلى الكوخ ــ قال إكناصيو ــ.
ـ سوف أتابع البحث عن زوجتي ولن أتركها ــ ردّ روبِن ــ.
ـ في هذا الظلام ووسط الغابة لن تستطيع إيجادها ــ قال إكناصيو ــ.
ـ أجل، من الأفضل أن نبحث عنها غدا في الصباح ــ أضاف فرنسيسكو ــ.

فردّ عليه روبن قائلا:

ـ إذا كانت زوجتك التي اختفت أكيد ما كنت تخلّيت عن البحث عنها.
ـ إننا لا نريد أن نعقّد الأمور أكثر، فمن المحتمل أن نفقد شخصا آخر إذا بقينا هنا وسط الغابة ــ شرح خايمي ــ.
ـ أكيد أن شخصا ما أو أكثر قد اختطفوها، لهذا من الأفضل العودة إلى الكوخ بدل البقاء هنا في الخارج ــ أضاف إكناصيو ــ.
ألقى روبِن نظرة حول المكان لثوان معدودة وتنفس بعمق فأحس ببعض الهدوء وقال بصعوبة:
ـ حاضر، كما تريدون، فليس لديّ خيار آخر.
ـ هيّا بسرعة إلى الداخل ! ــ أمرهم إكناصيو ــ.

وبهذا الشكل دخل الجميع إلى الكوخ والدهشة ظاهرة على محيّاهم نظرا لاختفاء السيدة راكيل بشكل مفاجئ. فذلك الحادث وقع بطريقة غريبة وغير مفهومة، لذلك أصابهم الخوف والحزن من فقدان شخص آخر، فلم يكن الأمر بسببهم بل كان فعل أشخاص آخرين غرباء وفقط السيّد روبِن كانت لدية فكرة عمّا جرى لزوجته، لكن لوْرا التي ظلّت بالكوخ لم تعرف ما جرى فقالت متعجّبة:
ـ ما الذي جرى ؟ لماذا كنتم تصرخون بقوّة في الخارج ؟
ـ لقد اختفت السيدة راكيل ــ أجاب خايمي بحزن ــ.
ـ يا روبِن ماذا قصدت عندما قلت في الخارج أنهم عادوا من جديد ــ سأله إكناصيو ــ.

ـ أجل، ما الذي قصدت بالضبط من ذلك الكلام ؟ ــ تدخل فرنسيسكو ــ.
ـ لا أريد الحديث عن هذا الموضوع ــ أجاب روبِن ــ.
ـ يجب أن تتكلّم، فقد نتمكّن من مساعدتك ــ أصرّ إكناصيو ــ.
ـ نعم، يجب أن تثق بنا ولا داعي لإخفاء أمر ما، فالآن نحن أصدقاء، أليس كذلك ؟ ــ صرّحت إلينا ــ.
ـ هيّا، أخبرنا كلّ ما تعرفه من فضلك ــ طلبت منه لوْرا ــ.
ـ حسنا، سوف أخبركم ما دمتم تصرّون على ذلك ــ قال روبِن ــ ، ثم أضاف: "فحسب صديق من الجيش الذي حكاه لنا منذ حوالي ثلاثة أشهر، فبينما كان يقوم برحلة رفقة زوجته توقفت سيّارته فجأة دون أن يكون بها أي عطب لأن سيّارته كانت من النوع الأوتوماتيكي ولم تشر إلى أي مشكل على الإطلاق، فتابع الاثنان رحلتهما نحو الشمال إلى أن وصلا إلى الكوخ حيث نحن الآن، وعندما طرق الباب من أجل طلب المساعدة خرج رجلان وأمسكا بزوجته بينما تمكّن هو من الفرار جريا بكل ما أوتي من قوّة في اتّجاه الجنوب إلى أن وجد صدفة شاحنة في الطريق التي أقلّته إلى غاية مدينة في الجنوب...".

بمجرّد أن توقّف روبِن عن الكلام سارع إكناصيو إلى سؤاله قائلا:
ـ ومن كانا ذلك الرجلان ؟

ـ حسب تحقيقات الجيش فقد كانا عضوان في مافيا المخدرات ــ أجاب روبِن ــ.
ـ هل وجدا زوجة ذلك العسكري ؟ ــ سألته إلِينا ــ.
ـ نعم، لكن كانت ميتة بسبب جرعة زائدة من المخدرات حسب نتائج التشريح.
ـ إذن ذلك الشخصان مازال طليقان حرّان ــ استنتج إكناصيو ــ.
ـ صحيح، وأكيد قد عادا من جديد، لهذا يجب أن نكون حذرين وأظن أنهم سيهاجموننا فقط بالليل ــ قال روبِن ــ.
ـ أغلقوا جيدّا الباب ويجب أن لا يخرج أي أحد ليلا كيفما كان السبب، اتفقنا ؟ ــ طلب خايمي من الآخرين ــ.
ـ حاضر ــ وافق الآخرون ــ.
ـ الآن يمكنكم الخلود للنوم وغدا سوف نرى ما يمكننا القيان به ــ أضاف روبِن ــ.
ـ أنا تعبة ولا أستطيع البقاء مستيقظة وقتا أطول، ليلة سعيدة، إلى الغد ! ــ قالت لوْرا ــ.
ـ وأنا أيضا ــ قالت إلِينا ــ.
ـ ليلة سعيدة وأحلام جميلة ــ قال البقيّة ــ.

وخلال دقائق انصرف الجميع للنوم بعدما أحسوا بقليل من الأمان ونسوا شيئا ما ذلك الحادث المأساوي.

♦ **اليوم الثاني في الكوخ:**

حلّ الصباح من اليوم التالي، السماء كانت صافية. لقد استيقظ باكرا كل من خايمي وصديقه إكناصيو وذهبا معا إلى النهر كما اتّفقا البارحة لإحضار الماء. وعند الوصول هناك كانت المفاجأة سلبية في انتظارهما، إذ وجدا آثار أحذية ضخمة وكذا بقع من الدماء. لقد كان الاثنان مندهشان مما شاهداه بجانب النهر، فصاح خايمي بتعجّب:

ـ يا إلاهي! ما هذا ؟ لمن هذه الدماء ؟
ـ أنا لم أشاهد مثل هذا قط كل حياتي العملية، إنه أمر لا يصدق ــ علّق إكناصيو ــ.
ـ أظن أنه دم السيدة راكيل، أليس كذلك ؟ ــ قال خايمي ــ.
ـ يمكن أن يكون كذلك لكن ليس لدينا بعد أي دليل، يا لها من حسرة! ــ عبّر إكناصيو متألما ــ.
ـ أعتقد أنها ماتت! ــ رأى خايمي ــ.
ـ لا أدري، فقد بدأت أشك في كل شيء ــ قال إكناصيو مرتبكا ــ.
ـ ماذا سنفعل الآن ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ يجب أن نكتم هذا الأمر عن الآخرين ــ رأى إكناصيو ــ.
ـ أنا لست موافقا ــ رفض خايمي ــ.
ـ اسمع! إني لا أريد إزعاجهم، إضافة إلى أن السيد روبِن سوف يغضب كثيرا ــ وضّح إكناصيو ــ.

ـ بالرغم من كل هذا ينبغي علينا إخبارهم وليس هناك ما يجب إخفاؤه، كما أنه عاجلا أم آجلا سوف يعرفون كل شيء ــ شرح خايمي ــ.
ـ حسنا، كما تريد، لكن ينبغي أن نخبر روبن بحذر وأن نحاول تهدئته تجنّبا لأي ردة فعل سلبية.
ـ ما رأيك في هذه الآثار الضخمة ؟ ــ سأل خايمي صديقه ــ.
ـ إنه أمر لا يصدّق، يمكن أن يكون الأمر مصطنعا لإخافتنا، لكن من وجهة نظر مهنية يمكن أن أقول أن الأمر كلّه غريب منذ التوقف العجيب للسيّارة، فلا شيء يبدو لي عاديا على الإطلاق. يجب علينا الآن أن نهدأ لكي نملأ القارورات بالماء وفيما بعد سوف يتضح الأمر شيئا فشيئا، اتفقنا ؟ ــ قال إكناصيو ــ.
ـ حسنا، لنملأ القارورات بسرعة ولنغادر المكان، فأنا خائف وأحسّ أن شيئا ما غريبا سوف يحدث ــ صرّح خايمي ــ.
ـ اهدأ يا رجل! فكل شيء سوف يكون على ما يرام بمساعدة الله، كن قوي الإيمان، اتفقنا ؟ ــ قال إكناصيو ــ.
ـ وأخيرا أظن أنك على صواب فالذي سيقع سوف يقع.
ـ هذا صحيح كما يقول المثل: "لا فرار من القدر".
ـ أجل، هذا ما قاله روبِن ــ أنهى خايمي حديثه ــ.
مرّت حوالي ساعة من الزمن، وعند العودة إلى الكوخ وجد خايمي وإكناصيو الآخرين يتناقشون، إذ كان السيد روبِن يتكلّم بحدّة وبيده ورقة حيث قال بغضب شديد:

ـ يجب علينا أن نغادر الكوخ وسيكون الأمر أفضل لو فعلنا ذلك اليوم.

فتدخل إكناصيو متسائلا:
ـ ما الذي يحدث هذه المرة ؟
ـ لقد وجدنا رسالة معلّقة ــ أجابت إلِينا ــ.
ـ عن أي رسالة تتكلّمون ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ الرسالة التي يمسكها روبِن بيده اليسرى ــ أجاب فرنسيسكو ــ.
ـ أين وجدتها يا روبِن ؟ سأل إكناصيو السيد روبِن ــ.
ـ لقد كانت معلّقة في باب الكوخ ــ أجاب روبِن ــ.
ـ ما هو محتوى هذه الرسالة ؟ ــ سأل خايمي ــ.
ـ إنها تتضمن أوامر بمغادرة الكوخ بأسرع وقت ممكن إذا أردنا أن تبقى زوجتي راكيل على قيد الحياة، فالكوخ ملكية خاصة حسب الرسالة، كما يجب علينا متابعة مسيرتنا نحو الشمال لكي نتمكن من رؤيتها ــ شرح روبِن ــ.
ـ كلّ هذا لا معنى له، إنّه مجرّد كلام ــ علّق خايمي ــ.
ـ أجل، يجب أن لا نصدق كل ما هو مكتوب في الرسالة ــ قال إكناصيو ــ.
ـ أنا أظن أن روبِن على صواب، يجب علينا أن نغادر هذا المكان من أجل سلامتنا وكي ننقذ حياة السيدة راكيل ــ تدخلت لوْرا ــ.

ـ اسكتي من فضلك! فأنت منفعلة ولا تدرين ما تقولينه ــ أمرها خايمي ــ.
ـ حتّى الآن لا نعرف إذا ما كانت راكيل ماتزال على قيد الحياة أو ميتة ــ صرّح إكناصيو ــ.
ـ ما الذي تريد قوله ؟ فأنا متأكد أنها ماتزال حيّة ولن يقتلوها تحت أي ظرف ــ قال روبِن ــ.
ـ في الحقيقة لقد وجدنا آثار دماء بجانب النهر ــ أخبر خايمي الآخرين ــ.
ـ كذلك شاهدنا آثار أقدام ضخمة ــ أضاف إكناصيو ــ.

نظر روبِن إلى الآخرين بشكل غريب قبل أن يتكلّم من جديد قائلا بغضب:
ـ أنا متأكد ومتيقن أنها حيّة، فالدم ليس دم زوجتي بل هو دم حيوان اصطادوه أولائك الرجال، بينما آثار...لا أدري.
ـ سوف ننتظر يوما أو يومين إلى أن تستطيع لوْرا المشي بدون عكاز، اتفقنا ؟ ــ اقترح خايمي ــ.
ـ طبعا لا نستطيع مغادرة الكوخ ولوْرا ليست على ما يرام ــ أكّد فرنسيسكو ــ.
ـ اسمعوا يا أصدقاء! لا داعي للقلق فاليوم أشعر أني أفضل بكثير من البارحة، فخلال يوم واحد أو يومين على الأكثر ونغادر هذا الكوخ اللعين ــ عبّرت إلِينا بحماس ــ.
ـ حسنا، حسنا سوف نظل هنا يومين كحد أقصى وبعدها نتابع رحلتنا نحو الشمال ــ ختم روبِن كلامه ــ.

ـ إذن لقد اتّفقنا ــ أنهى إكناصيو حديثه مبتسما ــ.

● ● ● ● ● ●

كانت الساعة تشير إلى الواحدة وعشر دقائق زوالا، كان السيد خِرارْدو يقود السيّارة نحو مركز الشرطة وكان يستمع إلى الأخبار عبر الراديو، وخلال دقائق وصل إلى هناك وأركن سيارته في موقف السيارات ودخل إلى هناك. وبعد دقائق تم استقباله من طرف مفتش الشرطة الذي كان جالسا في مكتبه ونطق قائلا:

ـ مرحبا بك يا سيدي، هل يمكنني مساعدتك ؟

ـ مرحبا! إني أريد أن أخبرك بأني فقدت الاتّصال بابني منذ يومين ــ قال خِرارْدو ــ.

ـ كيف فقدت الاتصال بابنك ؟

ـ إنه في رحلة برفقة خطيبته وأصدقائه، لكن المشكلة أنه حاولت الاتصال به بواسطة الهاتف لكن بدون جدوى، كما أن والدي خطيبته لم يتمكنا هما أيضا الاتصال بابنتهما.

ـ كم من الوقت مرّ على سفرهم قلت ؟ ــ سأل المفتش ــ.

ـ منذ يومين.

ـ إلى أين ذهبوا ؟

ـ إلى مدينة بامْبْلونا.

ـ حسب معلوماتي لم تقع أي حادثة سير خلال نهاية الأسبوع المنصرم.

ـ ماذا يمكن أن أفعل الآن ؟ ــ سأل خراردو مفتش الشرطة ــ.
ـ هل يحمل ابنك معه النقود أم بطاقة بنكية ؟
ـ لقد أعطيته بطاقتي البنكية ــ أجاب خِراردو ــ.
ـ إذن يجب أن تذهب إلى البنك لتعرف إذا ما تم استعمالها مؤخرا.
ـ ها! إنها فكرة جيّدة، إذ بهذه الطريقة يمكن أن نعرف إذا ما كان قد وصل بخير إلى مدينة بامْبْلونا.
ـ صحيح...ما اسمك ؟
ـ اسمي خِرارْدو، وماذا في حالة العكس أي لم يستعملها.

آنذاك فتح مفتش الشرطة الدرج وأخرج من هناك بطاقة الزيارة وقال:
ـ تفضل يا سيدي، يمكنك الاتصال بي لكي نرى ما يجب القيام به فيما بعد، لأنه اليوم يجب أن ننتظر بضعة أيّام قبل أن نبدأ عملية البحث عن ابنك وخطيبته، هل فهمت ؟

أخذ خراردو البطاقة ووضعها في جيب بدلته السوداء وختم كلامه قائلا:
ـ نعم، شكرا على كل شيء، وداعا!
ـ وداعا يا سيد خِرارْدو!

بذلك خرج خِرارْدو من هناك وبعدها ركب سيارته واتّجه بسرعة نحو البنك.

• • • • • •

كانت بناية البنك شاهقة والواجهة من زجاج، وبالداخل كان هناك العديد من الأشخاص في قاعة الانتظار، حيث قام خِرارْدو حينما جاء دوره وجلس على كرسي مريح قبالة موظف قام باستقباله قائلا:

ـ مرحبا بك يا سيدي، ماذا تريد ؟

ـ أريد أن أعرف إذا ما استعمل أحد ما بطاقتي البنكية خلال نهاية الأسبوع الماضي ــ أجاب خِرارْدو ــ.

ـ بطاقة الهوية من فضلك ــ طلب الموظف ــ.

أخرج خِرارْدو بطاقة الهوية في الحال ومنحها للموظف الذي أدخل بعض المعلومات في الحاسوب وكذا قن، ثم نظر بتمعن بضعة ثوان إلى شاشة الحاسوب قبل أن يتكلّم من جديد قائلا:

ـ لم يتم إجراء أية عملية خلال نهاية الأسبوع المنصرم يا سيدي، هل تريد توقيف العمل ببطاقتك ؟

ـ لا، كنت فقط أريد أن أعرف أن ابني لم يحصل له مكروه لأنه مسافر وهاتفه لا يعمل، هل فهمتني ؟ ــ وضّح السيد خِرارْدو ــ.

ـ نعم، أتمنى أن يكون بخير يا سيد خِرارْدو.

ـ حسنا، في حالة ما إذا سجّلت عملية خلال الأيام القادمة هل بإمكانك أن تخبرني عبر الهاتف من فضلك ؟ ــ توسّل السيد خراردو ــ.

ـ أجل بكل سرور يا سيدي.

ـ شكرا على كلّ شيء، إلى اللقاء! ــ أنهى خراردو حديثه ــ.
ـ لا شكرا على واجب، إلى اللقاء يا سيّدي!

• • • • • •

لقد مرّ ذلك النهار بسرعة دون شيء يذكر، حيث استغل الأصدقاء اليوم بالتمتع بالمنظر الخلاّب، وخلال الليل استلقوا على الفراش وتحدّثوا فيما بينهم، إذ كانت الليلة هادئة وخالية من أي حادث، وفي الأخير خلد الجميع إلى النوم في سلام.

♦ <u>اليوم الثالث في الكوخ</u>:

عند بزوغ الفجر استيقظ الجميع بسبب الصوت القوي للرعد والبرق، وخلال ثوان معدودة بدأت تمطر بقوّة لم يعهدوها من قبل، الريح كان قويّا ويسمع حثيته. لقد كان الأصدقاء منشغلي البال لأنهم كانت لديهم نية مغادرة الكوخ خاصة عندما رأوا صديقتهم لوْرا تمشي بدون مساعدة العكّاز.

ـ أظن أنه لا نستطيع الرحيل من هنا هذا اليوم ــ أعلن خايمي ــ.
ـ إنّه مجرّد إعصار عابر ولا داعي للقلق يا أصدقاء فسوف يتوقف بسرعة ــ قال روبِن بكل ثقة ــ.

ـ طبعا نستطيع مغادرة المكان في المساء لأنه لن تمطر اليوم بأكمله، كما أن كاحلي بأفضل حال آن وأستطيع المشي دون أي مشكل ــ صرّحت لوْرا ــ.
ـ ليس لدينا ما يكفي من الماء، لذا يجب إحضاره عندما ينتهي الإعصار ــ تدخل إكناصيو ــ.
ـ يا أصدقاء، ينقصنا الطعام كذلك ــ لاحظ فرنسيسكو ــ.
ـ أنا سوف أذهب لقنص ما استطعت ــ قال روبِن ــ.
ـ وأنا أريد أن أساعدك بكل فرح، هل أنت موافق ؟ ــ طلب إكناصيو من صديقه روبِن ــ.
ـ حاضر ــ ردّ روبِن ــ.
ـ إذن أنا وخايمي سوف نذهب للصيد وسقي الماء ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ على ما يظهر فقد وزعتم العمل، حسنا نحن الاثنتين سوف نبقى هنا إلى غاية عودتكم لتحضير الطعام ــ عبّرت لوْرا بحماس ــ.
ـ بهذا الشكل فكل واحد منا لديه عمل محدّد يجب القيام به ــ أنهت إلِينا الحديث ــ.

بعد مرور ثلاث ساعات تقريبا توقف تهاطل الأمطار وظهرت الشمس من جديد واختفت السحب تماما من السماء كما لو لم تمطر من قبل، فخرجت العصافير من أعشاشها تقفز من غصن لآخر ومغرّدة من الفرح، كما خرجت الحيوانات من جحورها للبحث عن قوتها اليومي، إذ أن غريزة البقاء تدفعها

للقيام بذلك ونفس الأمر بالنسبة لأصدقائنا الذين ذهبوا لإنجاز مهمة للعودة مبكرا كي يغادروا ذلك المكان ويكملوا رحلتهم.

هكذا توغّل كل من روبِن وإكناصيو وسط الأدغال ليهيّئا المصيدة للإمساك بأرنب ما لأن ذلك المكان مليء بالأرانب حسب افتراض السيد روبِن الذي نطق قائلا:
ـ هنا سوف ننصب الفخ وأتمنى أن نمسك بأرنب للغداء.
ـ على ما يظهر أنه لديك تجربة في هذا المجال كذلك ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ طبعا، فقد تعلّمت الكثير عندما كنت في الجيش.
عندما انتهيا من تهيئة المصيدة أمر روبِن قائلا:
ـ الآن يجب أن نبتعد من هنا والاختباء في مكان آخر حيث يمكن مراقبة الطريدة.
ـ حاضر، كما تريد يا صديقي ــ قبل إكناصيو دون نقاش ــ.

● ● ● ● ● ●

كانت لوْرا وصديقتها إِلِينا مستلقيتين على أغطية بجانب الكوخ لأخذ حمّام شمس مستغلّتين غياب الآخرين والحرارة في تلك الظهيرة، حيث أخفت لوْرا وجهها بقبّعة لتجنب أشعة الشمس حيث غلبها النوم بسرعة دون أن تشعر بذلك نظرا للظروف الملائمة من هدوء وزقزقة العصافير.

• • • • • •

مرّت ساعة ونصف ساعة من الزمن، وكان خايمي وفرنسيسكو في طريق العودة حيث تمكّنا بمحض الصدفة من اصطياد سمكة من حجم كبير وكل واحد منهما يحمل قارورتان من الحجم المتوسط مليئتان بالماء وضعهما داخل كيس بلاستيكي أبيض اللون، إذ بادر فرنسيسكو إلى الكلام مع صديقه وهو يضحك:
ـ على الأقل لدينا ما نأكله اليوم.
ـ أجل، لو كان لدينا المزيد من الوقت كنا قد اصطدنا أكثر من سمكة واحدة، أليس كذلك ؟
ـ طبعا، لسوء الحظ يجب علينا العودة حتى تتمكنّ الفتيات من طهي الطعام وبعدها...

توقّف فرنسيسكو عن إتمام ما كان يريد قوله.
ـ وبعدها ماذا ؟ ــ سأل خايمي صديقه ــ.

فأجاب فرنسيسكو قائلا:
ـ وبعدها نعود أعقابنا حيث تركنا سيّارتنا ثم نبحث عن من يساعدنا للرجوع إلى عائلتنا.
ـ الآن قد فات الأوان حيث يجب علينا أن نتابع رحلتنا نحو الشمال لأننا اقتربنا من الوصول إلى مدينة بامْبْلونا ــ شرح خايمي ــ.

ـ لقد قطعنا مسافة أكثر من ثلاثين كيلومترا دون الوصول إلى أي هدف، ألا تتذكر تلك الإشارة الطرقية التي تشير إلى مسافة الثلاثين كيلومترا لبلوغ مدينة بامْبْلونا ؟ إني لا أفهم معنى ذلك ــ قال فرنسيسكو وهو يشتبه شيئا ما غير عادي ــ.

نظر خايمي إلى صديقه لوهلة مفكرا فيما قاله صديقه مندهشا قبل أن يتساءل قائلا:

ـ أنت على صواب، كيف لي لم أنتبه إلى هذا الأمر من قبل ؟ هناك أمر غريب منذ البداية، ففي الحقيقة لا أدري ما يجب علينا القيام به.

ـ إني أفضل الحديث مع إكناصيو حول هذا الموضوع لأعرف رأيه ــ صرّح فرنسيسكو ــ.

ـ حسنا، كما تشاء، هكذا ستتضح الأمور.

تابع الاثنان طريقهما مشيا على الأقدام إلى أن وصلوا بالقرب من الكوخ حيث وجدا لوْرا نائمة على الغطاء، فصاح خايمي قائلا:

ـ هيّا يا لوْرا! استيقظي، لقد اصطدنا سمكة للغداء.

استيقظت لوْرا في الحال وسألها فرنسيسكو:

ـ أين هي إلِينا ؟

ـ لقد كانت نائمة هنا بجانبي ــ أجابت لوْرا ــ.

ـ يمكن أن تكون داخل الكوخ ــ تدخل خايمي ــ.

أتّجه فرنسيسكو مباشرة إلى الكوخ وتوقّف أمام الباب بالضبط حيث وجد رسالة معلّقة بالدبّوس، فنزعها وقرأ محتواها بقلق وبمجرّد أن انتهى بدأ يتحدّث مع نفسه بصوت مرتفع كالمجنون:

ـ لقد خطفها الملعونون!

اقترب خايمي من صديقه فرنسيسكو بسرعة بينما قامت لوْرا من مكانها فورا.
ـ ما الذي تقوله يا فرنسيسكو ؟ ــ سأله خايمي والدهشة بادية على محيّاه ــ.
ـ ما الذي تحمله في يدك ؟ سألته لوْرا ــ.
ـ إنها رسالة شبيهة بالأخرى، حيث يقولون أنهم خطفوا إلِينا لأننا لم نترك الكوخ كما أمرونا ــ أجاب فرنسيسكو ــ.
ـ هل هناك شيء آخر ؟ ــ تساءلت لوْرا ــ.
ـ لا، لقد أمرونا بأن نتابع الرحلة نحو الشمال لمدّة ثلاث ساعات متواصلة لكي نجدها عند مدخل المدينة ــ أضاف فرنسيسكو بنبرة حزينة ــ.
ـ ألم يقولوا اسم المدينة ؟ ــ سأله خايمي ــ.
ـ لا ــ ردّ فرنسيسكو باختصار ــ.
ـ إذن يجب أن نستعد للرحيل مساء ــ صرّحت لوْرا ــ.

ـ أنتِ على صواب، حضري الطعام بينما أنا وخايمي سوف نحمل كلّ ما سنحتاجه خلال الرحلة ــ ختم فرنسيسكو حديثه ــ.

• • • • • •

كان مارْكو ومارينا في غرفة الأكل يتناولون الدجاج المشوي مع قطع من الطماطم والبصل، ووسط المائدة هناك صحن مستدير كبير الحجم مليء ببضعة تفاحات حمراء اللون وكذا الموز من الحجم الكبير، فبادر مارْكو إلى الحديث قائلا:
ـ لقد مرّت ثلاثة أيّام دون أي خبر حول ابنتنا إلِينا ــ لاحظ ماركو ــ.
ـ لهذا السبب أنا منشغلة البال، فمن العادة أن تتصل بنا هاتفيا، لكن هذه المرّة هاتفها غير مشغل أو دون شبكة التغطية ــ عبّرت السيدة مارينا بقلق ــ.
ـ كان يجب عليها أن تتصل بنا من مخدع الهاتف بمجرّد وصولها إلى مدينة بامْبْلونا، لكنها لم تهتم مطلقا لأمرنا ــ قال مارْكو ــ.
ـ إني أعرف ابنتي، فأنا متأكدة أن هناك عائق، فهاتف خطيبها هو كذلك لا يعمل عندما اتّصلت به ثلاث مرات البارحة.
ـ أنتِ دائما تدافعين عنها، من الأفضل أن نصمت ونأكل في سلام، وفيما بعد سوف نرى ما يمكن فعله لحلّ هذا المشكل، اتفقنا ؟ ــ أنهى مارْكو حديثه ــ.

ـ حاضر، كما تشاء يا عزيزي!

• • • • • •

مرّت خمسة وأربعين دقيقة، فوصل كل من روبِن وإكناصيو إلى الكوخ، لقد كانا حزينين لأنهم لم يتمكنوا من قنص أي أرنب.
ـ هل هناك من جديد يا أصدقاء ؟ ــ سأل روبِن ــ.
ـ لدينا خبر سيء ــ أعلن خايمي ــ.
ـ ما هو بالضبط ؟ هيّا أخبرونا ما الأمر في الحال ــ طلب إكناصيو بقلق ــ.
ـ لقد اختفت إلِينا وقد أمرنا المجهولون بترك الكوخ ومتابعة رحلتنا نحو الشمال حسب الرسالة الجديدة ــ وضّح خايمي ــ.
ـ هل هذا كلّ ما تضمنته الرسالة ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ لا، حسب الرسالة سوف نجد إلِينا عند مدخل المدينة إذا سرنا ثلاث ساعات نحو الشمال ــ أضاف خايمي ــ.
ـ من حسن الحظ سنعثر عليها عند مدخل المدينة ــ قال روبِن ــ.
ـ ما الذي تقصده ؟ ــ سأل فرنسيسكو روبِن ــ.
ـ لا شيء يا صديقي، فلكل مقام مقال ــ أجاب روبِن ــ.

تبادل الأصدقاء النظرات فيما بينهم كما لو كان هناك أمر غريب في كلام السيد روبِن، فتدخلت لوْرا قائلة:
ـ لقد حان موعد الأكل!
ـ أجل، بعد ذلك سنتابع رحلتنا إلى المجهول ــ أنهى إكناصيو حديثه ــ.

• • • • • •

لقد كان الطريق طويلا، إذ كان روبِن في المقدمة لكونه يعرف حسن التصرف نظرا لتجربته وحنكته، أما البقية فكانوا يتبعون خطاه في صمت والتعب ظاهر عليهم بعد ساعتين من المشي قبل أن يكسر روبِن ذلك الصمت معلنا منتهى الغابة:
ـ وأخيرا خرجنا من الغابة الملعونة!
ـ كم بقي لنصل إلى المدينة ؟ ــ سأل خايمي ــ.

نظر إكناصيو إلى ساعته الرقمية.
ـ علينا أن نمشي ساعة أخرى من الزمن حسب الرسالة ــ قال إكناصيو ــ.
ـ أجل، ساعة واحدة تقريبا ــ أكّد روبِن ــ.

كان التعب واضحا على وجه لوْرا، لذلك فضلت البقاء صامتة والتنفس بعمق. على هذا النحو تابع الجميع التقدم بأسرع ما أمكنهم.

ثم صرّح فرنسيسكو قائلا:
ـ فقط بقي بضعة دقائق للوصول إلى هدفنا.
ـ أعطني قارورة الماء الصغيرة، إني عطشى ــ قالت لوْرا تتصبّب عرقا ــ.
ـ أنا أيضا عطشان ــ قال إكناصيو ــ.

شرب إكناصيو ولوْرا الماء كلّه الذي كان في القارورة الصغيرة، قبل أن يعلن روبِن وصولهم قائلاّ:
ـ انظروا يا أصدقاء! وأخيرا وصلنا!

من حوالي عشرين مترا، تظهر إشارة طرقية تحمل اسم ذلك المدينة:"مرحبا بكم في المدينة المتاهة". فبرؤية ذلك الإشارة ظل الجميع مندهشا باستثناء السيد روبِن الذي صرخ بصوت مرتفع قائلا:
ـ هناك على الأرض توجد خطيبتك إِلِينا بجانب الإشارة الطرقية!
آنذاك أخذ فرنسيسكو وخايمي يركضان باتّجاه إِلِينا، بينما اقترب البقية منهم بسرعة.
ـ يا إِلِينا! هل أنت بخير؟ ــ قال فرنسيسكو محرّكا إياها ــ.

فاسترجعت إلِينا وعيها في الحال وقالت مندهشة:
ـ ما الذي جرى لي؟ أين أنا؟
ـ كيف وصلتِ إلى غاية هنا؟ ــ سألها فرنسيسكو ــ.
ـ لا أتذكر شيئا، فقط أتذكر اللحظة التي كنت مستلقية بجانب لوْرا بالقرب من الكوخ ــ أجابت إلِينا ــ.

قامت إلِينا مزيلة الغبار العالق بملابسها ورأت الإشارة الطرقية فقالت متعجّبة:
ـ المدينة المتاهة !
ـ أنا لم أسمع قط في حياتي هذا الاسم الغريب ! صرّح إكناصيو ــ.
ـ ولا أنا ــ قال خايمي ــ.
ـ الآن ستبدأ مغامرة أخرى ــ قال روبِن بغرابة ــ.
ـ عن أي مغامرة تتحدّث يا روبِن ؟ ــ سألته لوْرا ــ.
ـ يجب علينا أن نتابع طريقنا فقد أوشكت الشمس على الغروب ــ أمرهم روبِن ــ.
ـ أرجو من الله أن نجد فندقا بسرعة ــ رجت إلِينا ــ.
ـ هذا ما أتمناه أنا أيضا ــ قالت لوْرا ــ.
ـ لنرحل من هنا يا أصدقاء! ــ طلب منهم روبِن ــ.
ـ المدينة المتاهة! يا له من اسم غريب ــ علّق إكناصيو ــ.
ـ أتمنى من الله أن يكون فقط الاسم غريبا! ــ أنهى روبِن حديثه ــ.

هكذا اتّجه الجميع نحو مدخل المدينة المتاهة مع مغامرة جديدة وغير منتظرة.

الفصل الثالث: الحياة الجهنميّة في المدينة المتاهة.

كانت المدينة المتاهة كبيرة، وأغلب البنايات كانت من طابقين أو ثلاثة باستثناء البعض منها كانت مرتفعة أكثر، لم يكن هناك أثر للسيّارات ولا للدرّاجات النارية أو أي وسيلة نقل أخرى، كما لم يكن هناك أناس في الشوارع بالرغم من أن الشمس بدأت تغرب باستثناء رجل عجوز يجلس على كرسي متأرجح بجانب باب منزله.

لقد كان يخيّم الصمت على المدينة كما لو كان هناك حرب معلنة ومُنع الخروج تجنّبا لخطر محدق. كل المنازل كانت مصبوغة باللون الوردي والأبواب باللون البنفسجي، لكن بعض البنايات كانت مصبوغة بألوان أخرى، أمّا أعمدة الإنارة فكانت متوسطة الارتفاع ومصنوعة من الفضة، ففي تلك الأثناء اشتعلت أوتوماتيكيا قبل حلول الظلام بدقيقتين أو ثلاثة دقائق، وفي الأرصفة كانت هناك أشجار رائعة ذات أوراق خضراء تحرّكها الرياح بين الفينة والأخرى.

هكذا تقدّم الأصدقاء الشباب خطوة خطوة ناظرين إلى تلك المدينة بشكل غريب واقتربوا من ذلك الرجل العجوز لسؤاله.

ـ مرحبا يا سيدي! أين يمكننا أن نجد فندقا من فضلك ؟ ــ سأله فرنسيسكو بأدب ــ.

ـ مرحبا! هنا لا يوجد فندق يا أبنائي.

ـ إذن أين يمكننا قضاء هذه الليلة ؟ ــ سأله خايمي ــ.

ـ أكيد أنكم جدد هنا ولا تعرفون أي شيء ــ قال الرجل العجوز ــ ، ثم أضاف مشيرا بيده إلى السيد روبِن:

ـ باستثناء هذا الرجل الذي أتى إلى هنا من قبل لكن لا أتذكر اسمه، ما اسمك ؟

سأل إكناصيو السيد روبن متعجبا:
ـ هل أتيت إلى هنا سابقا ؟
ـ لقد كانت لدي شكوك حول روبِن منذ البداية، إنه إحساسي ــ أعلن خايمي رأيه ــ.

ظلّ السيد روبِن صامتا دون أن ينبس بكلمة واحدة.

آنذاك تدخل الرجل العجوز قائلا:
ـ اسمعوا يا شباب! إذا لم تريدوا قضاء الليلة في الشارع يجب عليكم البحث عن "دار الضيافة"، فهناك سيساعدونكم بطريقة أو بأخرى.
ـ أين توجد ؟ ــ سألته لوْرا ــ.
ـ إنها على بعد مائتي متر من هنا بالجانب الأيسر؛ إنها بناية شاهقة حمراء اللون، مفهوم ؟ ــ أجاب الرجل العجوز ــ.
ـ شكرا لك يا سيدي ! ــ شكره الجميع ــ.

من تم اتّجه الكلّ نحو هدفهم، وفي طريقهم إلى هناك تجادلوا مع الغريب روبِن، حيث سأله خايمي بغضب:
ـ أنتَ متى سوف تخبرنا الحقيقة كلّها ؟
ثم سارعت لوْرا للتعبير عن غضبها قائلة:

ـ أجل، أنت كذّاب ولا نستطيع أن نثق بك.

آنذاك ردّ روبن مدافعا عن نفسه:
ـ هذا يكفي، فذلك الرجل العجوز كان يريد أن نتشاجر، فكل ما تفوّه به مجرد أكاذيب، فلو كان قد قال الحقيقة، لماذا لا يتذكر اسمي ؟

تدخل إكناصيو لتهدئة الوضع قائلا:

ـ اهدأوا يا أصدقاء ! عاجلا أم آجلا سنعرف كل الحقيقة، فقط القليل من الصبر وسوف تتّضح الأمور، اتفقنا ؟
ـ أنتَ على صواب، الآن لنبحث عن دار الضيافة حيث سنقضي الليلة ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ انظروا يا أصدقاء! فتلك البناية الشاهقة هي دار الضيافة ــ قالت إلِينا ــ.
ـ نعم، وأخيرا ــ أكّد فرنسيسكو ــ.
ـ هيّا لندخل إلى هناك! ــ أمرهم إكناصيو ــ.

♦ **الأسبوع الأول في دار الضيافة:**

عندما دخل الأصدقاء إلى دار الضيافة لم يكن هناك أحد في قاعة الاستقبال، حيث كان هناك بعض الكراسي من النوع الجيّد، فجلس الجميع باستثناء خايمي الذي اقترب من مكتب الاستقبال ودقّ الجرس الذي كان يوجد في أحد أركان المكتب، وبمجرّد سماع رنين الجرس خرجت امرأة عجوز من أحد الأبواب وقالت:

ـ مساء الخير يا زوار! اسمي طِريزا.
ـ مساء الخير! أنا اسمي خايمي، إننا هنا لقضاء هذه الليلة.
ـ أجل، إني أعرف، من أين أنتم؟ بالأحرى من أي مدينة قدمتم؟
ـ من مدريد.

عند سمعت طِريزا الجواب أجهشت بالبكاء بغرابة، فتعجّب خايمي من هذا الأمر فسألها:
ـ لماذا تبكي؟

ظل الآخرون صامتين متعجّبين مما وقع دون أن يتدخلوا، ثم أجابت طِريزا قائلة:

ـ في الحقيقة إني افتقدت عائلتي التي تركتها هناك بمدريد منذ عدّة سنوات.
ـ لماذا لم تذهبي من أجل زيارتهم؟

لم تتجرّأ المرأة أن تجيب خايمي، فوجهت الكلام إلى روبِن قائلة له:
ـ أنتَ، إنّ زوجتك راكيل بخير.

وقف روبِن على رجليه واقترب من مكتب الاستقبال قائلا بغضب:

ـ لماذا اختطفوا زوجتي؟
ـ أنتَ تعرف أكثر مني ــ أجابت طريزا مقهقهة ــ.
ـ هذه المدينة كابوس مزعج ــ علّق روبِن ــ.

نظر البقية إلى بعضهم البعض متعجبين مما سمعوا، قبل أن تسأل طريزا قائلة:
ـ كم من غرفة تحتاجون؟
ـ أربع غرف، ثلاثة للمتزوجين وواحدة منفردة لصديقي إكناصيو ــ أجاب فرنسيسكو ــ.
ـ حسنا، لدي شقة تتناسب مع طلبكم إذ توجد في الطابق الأول حيث توجد حاليا السيدة راكيل ــ قالت طريزا ــ.

بسماع اسمها سارع روبن إلى السؤال عن زوجته قائلا:
ـ كيف حال زوجتي؟
ـ لا تقلق، إنها بخير ــ طمأنته طِريزا ــ.
ـ ما هو ثمن ليلة واحدة هنا ؟ ــ سألها خايمي ــ.

آنذاك تدخلت لوْرا قائلة:
ـ إننا شباب ونريد أن تخفضي لنا الثمن من فضلك.
ـ أجل، لقد تخرّجنا من الجامعة هذه السنة ولم نعمل بعد ــ أضافت إلِينا ــ.

نظرت طِريزا إلى الفتيات نظرة غريبة ثم قالت:

ـ حسنا، ليس هناك ما أخفيه عنكم، ففي هذه المدينة لا نقبل النقود ولا الشيك.
ـ إذن أظن أنكم تقبلون الأداء بالبطاقة البنكية، أليس كذلك؟ ــ قال خايمي ــ.
ـ لا يا بني، إننا نقبل فقط بطائقنا الخاصة التي يمكن ملؤها مقابل العمل...

اندهش الجميع بسماع ذلك الشيء الغريب جدّا.

ـ ما الذي تقولينه ؟ ــ سأل خايمي متعجبا ــ.
ـ هل أنتِ تمزحين ؟ ــ قال إكناصيو ــ.
بينما عبّرت إلِينا عن رأيها قائلة:
ـ الوقت ليس مناسبا لكي تقولي لنا هذه الحماقات.

آنذاك حاولت طِريزا أن تشرح لهم قائلة:

ـ اسمعوا، إني لست أمزح معكم على الإطلاق، إنها الحقيقة يا أصدقاء، فأنتم جدد هنا ومع مرور الوقت سوف تعرفون قواعد مدينة المتاهة، اتّفقنا؟
ـ عن أي قواعد تتكلمين؟ ــ سألها إكناصيو ــ.
ـ لن اكرّر الأمر مرتين، فعندما آمركم بشيء فيجب عليكم تنفيذه وإلا دفعتم ثمنا غاليا جدّا؛ فأنا أيضا كنت عنيدة مثلكم عندما وصلت إلى هذه المدينة، لكن في الأخير تعلّمت أنه ليس لدي خيار آخر فقط طاعة الأوامر والقيام بكل ما يطلبه مني أعضاء هذه المدينة، مفهوم؟
ـ لقد تعبنا من سماع الكثير من التفاهات، الآن أخبرينا كيف يمكننا الأداء دون تضييع المزيد من الوقت من فضلك ـ قال خايمي بصوت مرتفع شيئا ما ــ.

فأجابت طِريزا بجدّية:
ـ حسنا، اليوم حسب القوانين يمكنكم المبيت في الشقة وغدا في الصباح سوف أشرح لكم ما يجب عليكم القيام به للحصول على تلك البطاقة الحيويّة بشرط أن تطيعوا أوامري دون أي نقاش، اتفقنا؟

نظر الأصدقاء إلى بعضهم البعض كما لو لم يكن بيدهم خيار آخر سوى القبول لقضاء تلك الليلة على الأقل.

ـ حاضر كما تريدين ــ قبل خايمي ــ.

ـ إذن لنصعد فوق لتروا الشقة يا شباب ! ــ قالت طريزا ــ.

في تلك اللحظة أخذت طِريزا مفتاحا كان معلّقا في الحائط خلف مكتب الاستقبال، واتّجه الجميع إلى السلالم التي توجد عند نهاية الرواق؛ فقد كانت السلالم واسعة مصنوعة من الموزاييك والجوانب مزيّنة بأحجار الرخام الرمادي اللون. أما الجدران فكانت مصبوغة بإتقان باللون الوردي مع خطوط عمودية بنفسجية اللون. فبمجرّد وضع الأرجل على السلالم تنير المصابيح أوتوماتيكيا، فقد كانت الأضواء قوية خضراء اللون. بذلك صعدت السيدة طريزا والأصدقاء وراءها إلى غاية أن وصلوا إلى رواق عريضة جدّا حيث كانت تتواجد العديد من الأبواب من خشب غالي الثمن بني اللون، وفوق كل باب رقم معين، حيث أسرعت طريزا إلى فتح الشقة رقم أربعة بالمفتاح التي حملته من قبل.

عند فتح الباب ظهر الفناء الواسع حيث كان هناك الأريكة بنيّة اللون وطاولة من زجاج مع الخشب في جوانبها، وفي الوسط كانت هناك مزهرية مملوءة بباقة من الورد الأبيض والأحمر. لقد كانت الشقة تتكوّن من أربع غرف، وبهو، ومطبخ وحمّامين، إذ كانت الغرف كبيرة ومؤثثة ومجهّزة بمروحية.

عندما فتحت طريزا الباب طلبت منهم الدخول بأدب قائلة:
ـ ادخلوا يا شباب! مرحبا بكم في شقتكم!

لقد كانت السيدة طريزا هي أول من دخل إلى الشقة واتّجهت مباشرة إلى الغرفة التي توجد في العمق ودقّت الباب مرتين قبل أن تفتحها قائلة:
ـ مرحبا يا راكيل! إن أصدقاءك هنا.

قامت السيدة راكيل من السرير التي كانت مستلقية عليه وخرجت مباشرة لكي تسلّم عليهم. فبمجرّد رؤيتهم ارتسمت ابتسامة على شفتيها وأحست بالفرح بعدما فقدت الأمل في العودة إلى رؤيتهم من جديد، وحينها ارتمت في حضن زوجها بحرارة مجهشة بالبكاء الممزوج بالحب والفرح لرؤيته.

ـ اهدئي يا عزيزتي! كل شيء سيكون على ما يرام ولا داعي للبكاء.

كان البقية ينظرون متعجبين ومتسائلين كيف وصلت راكيل إلى تلك الشقة، حيث لم يستطع إكناصيو مقاومة فضوله لمعرفة كل الحقيقة فبادر إلى السؤال قائلا:
ـ يا راكيل! كيف وصلت إلى غاية هنا؟ هل قدمت لوحدك أم أتوا بك إلى هنا؟ هل عاملوك بسوء؟...

ظلّت السيدة راكيل صامتة وبقيت الأسئلة من دون أجوبة، حيث تدخل روبن بغضب قائلا:

ـ دعها بسلام! ألا ترى أنها في حالة سيئة؟

تصرّفت السيدة طِريزا كما لو لم يحدث أي شيء وتابعت وصفها لهم الشقة.

ـ انظروا يا شباب! هذه الغرفة للسيد خايمي وخطيبته لوْرا، بينما الغرفة المتبقية فهي للسيد فرنسيسكو وخطيبته إِلِينا.

تعجّب فرنسيسكو كيف عرفت أسماءهم فقال لها:

ـ لكن من أخبرك بأسمائنا؟
ـ هنا نعلم بكل شيء حولكم، لكن من الفضل أن لا تسألوا كثيرا، ولا داعي للسرعة لأنه شيئا فشيئا سوف تعرفون كل شيء.
ـ أعتقد أن السيدة راكيل هي من أخبرتهم بكل شيء عنا، أليس كذلك؟ ــ قال إكناصيو ــ.

تدخل آنذاك السيد روبن وقال:

ـ زوجتي لم تقل شيئا، كما أنه ليس لدي رغبة في الحديث عن هذا الموضوع الآن، فكل شيء في وقته.
ـ اهدأوا فكلنا نرتكب أخطاء كما يقول المثل:" فكل إنسان خطاء" ــ قالت طريزا ــ ، ثم أضافت: تعالوا معي، هذا هو المطبخ، وهناك البهو وبمحاذاته هناك حمّامان، وطبعا فقد رأيتم الرواق

الواسع حيث يمكنكم الحديث فيما بينكم، لكن أريد أن أحذركم أنه اليوم وغدا ممنوع الأكل، فقط يمكنكم شرب الماء، أظن أن هذا الأمر واضح لأني لن أكرر الأمر مرة ثانية، مفهوم؟
ـ مفهوم ــ أجاب روبِن ــ.
ـ لماذا لا يمكننا الأكل اليوم وغدا؟ ــ سألها إكناصيو ــ.
ـ بأي حق منعتنا من الأكل؟ ــ صرخت لوْرا ــ.
ـ أجل، ما هو السبب ؟ ــ تساءل فرنسيسكو ــ.
ـ أنا بدأت أقلق، إني أجس وكأنني في السجن وليس في دار الضيافة ــ صرّح خايمي ــ.
ـ أنا أظن أنها قالت حماقة، ولا داعي لأخذ الأمر بجدية، لقد واجهنا ما يكفي من المشاكل ولن أتحمّل أكثر ــ تمتمت إِلينا ــ.

لم تعلّق السيدة طريزا حول ما قاله الأصدقاء.

ـ حسنا، الآن تعرفون غرفكم وما يجب أن تفعلوه. إذن سوف أترككم لكي تستريحوا، إلى الغد! ــ ختمت طريزا كلامها ــ.
ـ وداعا! ــ قال روبِن ــ.
ـ إلى الغد يا سيدتي ! ــ قالت راكيل ــ.

هكذا انصرفت السيدة طريزا ونزلت إلى الأسفل ودخلت من حيث خرجت في البداية، بينما شرع البقية في الحديث فيما بينهم.

ـ يا روبن! هل تعرف لماذا منعتنا من تناول الطعام هذه الليلة ويوم الغد؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ لا أدري، لكن من الأفضل أن نطيع أوامرها بما أن ذلك من القواعد التي يجب احترامها حسب العجوز طريزا ــ أجاب روبِن ــ.
ـ ماذا سيحدث لو كسرنا هذه القاعدة ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ النتائج سوف تكون كارثية ــ ردّت السيدة راكيل بغرابة ــ.
ـ عن أي نتائج تتحدث ـ تدخل فرنسيسكو ــ.
ـ إنها تبالغ، فلا أحد يعرف ما الذي سيحدث ــ قال روبن ــ.
ـ أنا لا أستطيع الثقة في هذين الاثنين، فأنا لدي شكوك أنهما يتعاونان مع المجهولين، فهل تستطيعون أن توضحوا لي كيف عرفوا أسماءنا ؟ ــ قال إكناصيو مشيرا بيده إلى السيد روبن وزوجته ــ.
ـ نعم، أنت على صواب. فأكيد أنهما يخبئان عنا أمرا مهما ــ رأت لوْرا ــ.

ـ يا روبن! يجب عليك أن تخبرنا بكل الحقيقة، هل بإمكانك أن تشرح لنا كيف عرفت العجوز طريزا أسماءنا ؟ ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ لا فكرة لدي، آه! من الممكن أن يكونوا قد أجبروا زوجتي على الكلام ــ أجاب روبن ــ.
ـ إذن أنتِ من أخبرهم بأسمائنا ؟ ــ سأل خايمي راكيل ــ.

ـ أنا لم أقل شيئا، كما أنهم هم يعلمون أكثر مما يعرفه الإنسان، فلن نستطيع مواجهتهم على الإطلاق ــ ردّت راكيل ــ.
ـ إنها تتحدث عن الفضائيين، أليس كذلك ؟ ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ لقد فقدت عقلها ــ علّقت إلينا ــ.
ـ لا تقولي هذا عن زوجتي وإلا ستندمين ــ تدخل روبن ــ.
ـ اهدأوا جميعا، لقد تكلمنا ما يكفي وكما عاينتم فقط ندور في حلقة مفرغة، ونناقش بدون أي جدوى، لهذا لننسى هذا الموضوع، فعاجلا أم آجلا سوف نعرف كل الحقيقة، مفهوم ؟ ــ صرّح خايمي ــ.
ـ أجل، عاجلا أم آجلا ! ــ قالت راكيل ــ.
ـ كما قلت منقبل، كل شيء في وقته ــ قال روبن ــ.
ـ أنا تعبت، سوف أذهب إلى غرفتي لأستريح ــ أعلن إكناصيو ــ.
ـ نحن أيضا ــ قال كل من روبن وزوجته راكيل ــ.
ـ إلينا، هيّا بنا إلى غرفتنا فورا ــ طلب منها فرنسيسكو ــ.
ـ حسنا، ليلة سعيدة للجميع ــ ختم خايمي حديثه ــ.
ـ ليلة سعيدة ــ ردّت إلينا ــ.
ـ شكرا ــ قالت لوْرا ــ.

هكذا، أتّجه كل زوج إلى غرفته من أجل النوم بما أنهم كانوا منهكين من كثرة المشي من الكوخ إلى غاية المدينة المتاهة. كما أنه لم يكن هناك سبيل لإنهاء النقاش فيما بينهم بشكل آخر، وخاصة أن الجميع كانوا متوترين بسبب العديد من الأوضاع التي

عاشوها والتي كانت غير عادية، ولا مفهومة ولا تنسى وغير منتظرة.

• • • • • •

كانت السيدة راكيل مستلقية على الفراش، بينما كان زوجها بالقرب جدّا من النافذة ينظر إلى البنايات المقابلة لدار الضيافة، لكن دون أن يستطيع أن يرى أكثر من واجهاتها، إذ كانت تلك البنايات مجهّزة بزجاج خاص.

لقد كانت أعمدة الكهرباء تنير الأزقة، لكن دون أن يكون هناك أثر للحياة في الخارج.

في تلك اللحظة، اتّجه روبن نحو زوجته مقتربا منها بخطوات ثقيلة، ثم سألها قائلا:

ـ هل رأيت ابنتنا ؟

ظلّت راكيل صامتة لثوان قبل أن تجيب باقتضاب:

ـ نعم.

ـ كيف هي حالتها الآن؟ ــ سألها روبن ــ.
ـ إنها على نفس الحالة التي تركناها في آخر مرة.
ـ الملعونون لا يريدون معالجتها ! ــ تمتم روبن بغضب ــ.
ـ يجب أن نفعل شيئا ما لإنقاذ ابنتنا ــ اقترحت راكيل ــ.
ـ لا تقلقي، إننا هنا من أجلها، لكن لا تخبري أصدقائنا الجدد أي شيء، اتفقنا ؟
ـ حاضر.
ـ إني أراك متعبة ومرهقة، هل أكلت شيئا عندما وصلت إلى هنا ؟ ــ لاحظ روبن ــ.
ـ أجل، لكن بعدما نظفت هذه الشقة ــ ردّت راكيل ــ.
ـ هذا يعني أنكِ استرجعتِ بطاقتك الخاصة، أليس كذلك ؟
ـ نعم، كما قد أعطوني بطاقتك لكن خالية من وحدات العمل، إذ يجب عليك العمل كي تستطيع شراء ما تأكله ــ قالت راكيل ــ.
ـ هذا هو ما كائن الآن، فليس لدينا خيار آخر في هذه الآونة يا عزيزتي ــ ختم روبن حديثه ــ.

● ● ● ● ● ●

كان فرنسيسكو وخطيبته إلينا مستلقيان على السرير ويتحدثان، كان النور مايزال يضيء غرفتهما حيث لا يشعران بعد بالنعاس؛ ربما كان منشغلا البال بسبب كل ما حدث لهما طوال النهار، أو أن الأمور كانت غريبة في تلك دار الضيافة، فهناك لا يقبلون الأداء

بالمال ولا بأي وسيلة أخرى معتادة لديهما، حيث بادر فرنسيسكو إلى سؤال خطيبته قائلا:

ـ كيف تجدين تلك العجوز طريزا ؟
ـ إنها غريبة جدّا، وخاصة عندما منعتنا من تناول الطعام هذه الليلة وغدا بحجّة أنها قاعدة من بين القواعد الأخرى في هذه المدينة.
ـ حسب قولها فهناك قواعد أخرى لا نعرفها، أظن أنه غدا سوف نغادر هذه المدينة، إذ لدي إحساس أن أمرا سلبيا سوف يحدث ــ صرّح فرنسيسكو ــ.
ـ أنتَ قد صدّقت تلك العجوز، أما أنا فمتأكدة أنها تقول ما يخطر على بالها ــ رأت إلينا ــ.
ـ أنا أصدّق كلّ ما قالته لنا، فأكيد أن هناك شيئا غير عادي في كل ما يحدث، وإلا كيف تفسرين اختفاءك ووجود السيدة راكيل هنا في دار الضيافة ؟

فكّرت إلينا برهة قبل أن تتابع الحديث.

ـ إنها مجرّد صدفة لا أكثر يا عزيزي !
ـ لا أظن ذلك، فعلى الأقل أنا أشتبه أن السيد روبن والسيدة راكيل يعرفان شيئا ما، وفقط هما من يستطيعا توضيح هذا الأمر لنا.
ـ حسنا، إني جائعة ولا أريد النوم ومعدتي فارغة ــ قالت إلينا ــ.
ـ من الأفضل أن لا تأكلي كما أمرتنا العجوز طريزا، اتفقنا ؟

ـ لا ــ رفضت إلِينا ــ.
ـ أنا أفضا الانتظار إلى غاية أن تتضح الأمور، فلا أريد أن تحصل لي أية مشاكل. لهذا أنصحك أن تنامي وغدا سوف نرى ما يمكن أن نقوم به، مفهوم ؟

أصرّت إلِينا على فكرتها وقالت:

ـ أنا سوف أذهب لأرى إذا ما كان هناك طعام في المطبخ.

كانت إلِينا عنيدة، حيث قامت من السرير في الحال وخرجت من الغرفة. عند مغادرتها الغرفة وجدت السيد إكناصيو جالسا على الأريكة وسط الشقة، فاقتربت منه بخطوات سريعة دون أن تحدث أي صوت وقالت:

ـ أهلا يا إكناصيو ! ماذا تفعل وحدك هنا ؟
ـ مرحبا إلِينا ! لقد أحسست بالملل، فليس هناك تلفاز ولا أي شيء آخر للتسلية في هذه الدار ــ ردّ إكناصيو ــ.
ـ هل ألقيت نظرة في البهو إذا ما كان هناك تلفاز ؟ ــ سألته إلِينا ــ.
ـ ليس هناك تلفاز كذلك، فقط الأريكة وبعض الكراسي.
ـ إذن أنتَ أيضا ليس لديك رغبة في النوم ــ لاحظت إلِينا ــ.
ـ أجل، وخاصة في هذه الظروف الغريبة ــ صرّح إكناصيو ــ.

ـ إني جائعة، وأنتَ؟
ـ أنا لست جائعا، كما أنها منعتنا من تناول الطعام، هل نسيت الأمر ؟
ـ لا، لم أنسى، لكن لا يهمني ما قالته السيدة طريزا على الإطلاق، إنه مجرّد كلام فارغ.
ـ كوني حذرة، فأنا بدأت أشك في كلّ شيء، فهناك أمر غير مفهوم، وغير قابل للشرح في هذه المدينة الغريبة، وأنتِ ألم تلاحظي شيئا ؟
ـ لا، ماذا ؟ ــ ردّت إلينا ــ.
ـ ففي الشارع لم يكن هناك أي أحد فقط ذلك الرجل العجوز الذي كان جالسا على الكرسي المتأرجح ــ وضّح إكناصيو ــ.
ـ إنه أمر طبيعي، فقد كان الوقت مساء وكانت الشمس على وشك الغروب.
ـ أنا لا يمكن أن أجبرك على القيام بشيء، لذا أنتِ حرّة افعلي ما تشائين وتحمّلي النتائج ــ حذّرها إكناصيو ــ.
ـ حسنا، سوف أذهب إلى المطبخ، إلى الغد !
ـ إلى الغد ! ــ ختم إكناصيو حديثه مع إلينا ــ.

بذلك توجّهت إلينا فورا إلى المطبخ وأنارت المصباح ثم فتحت الثلاجة التي كانت فارغة. ووسط المطبخ كانت هناك مائدة صغيرة الحجم مستديرة الشكل، وفوقها سلّة بلاستيكية مليئة بتفاحات كبيرة حمراء تلمع ومثيرة جدّا، حيث لم تستطع إلينا المقاومة مظهرها الجميل الذي يثير الانتباه فأخذت واحدة وأكلتها بسرعة،

إذ كانت لذيذة جدّا ممّا جعلها تأخذ تفاحة أخرى، وعندما انتهت من أكلها عادت إلى الغرفة واستلقت على السرير بجانب خطيبها وشرعا في الحديث فيما بينهما حيث سألها فرنسيسكو قائلا:

ـ هل وجدت شيئا تأكلينه ؟
ـ لم يكن هناك أي شيء في الثلاجة لكن وجدت بعض التفاحات فوق المائدة وأكلت اثنتين منها ــ أجابت إلينا ــ.
ـ حسنا، إني أحس بالتعب، أطفئي الضوء من فضلك، ليلة سعيدة يا حبيبتي !
ـ ليلة سعيدة يا عزيزي !

• • • • • •

كان خايمي ولوْرا كذلك مستلقيان على الفراش وبجانبيهما أباجورة مضاءة، إذ كان النور أحمر اللون، وقد كانت غرفتهما الأكبر في تلك الشقة، وبالقرب من باب الغرفة كان هناك صوان كبير من ثلاثة أبواب والوسطى كانت عبارة عن مرآة، لكن ذلك الصوان كان فارغا، وفي أسفله كان هناك ثلاثة أدراج.
لقد كان الاثنان يتحدثان حول الوضعية التي يعيشونها محاولان فهمها بالرغم من أن الأمر كان صعبا أو مستحيلا معرفة الحقيقة المخفية.

ـ كيف تظهر لكَ المدينة المتاهة ؟ ــ سألته لوْرا ــ.

ـ أنا لم تعجبني على الإطلاق، فكل شيء فيها غريب وخاصة تلك العجوز طِريزا والرفيقان الجديدان.
ـ أتلمّح إلى كل من روبِن وراكيل ؟
ـ نعم بالضبط ــ أكّد خايمي ــ.
ـ إذن تشك أنهما يخفيان أمرا ما منذ البداية، أليس كذلك ؟ ــ سألته لوْرا ــ.
ـ طبعا كذلك، ألم تلاحظي أن تلك العجوز نادته باسمه، كما أن زوجته اختفت بشكل غريب ولآن وجدناها هنا في هذه المدينة. لذا يجب أن نكون متيقظين، فمن الممكن أن تكون لهما علاقة بالعصابة التي تحدث عنها السيد روبِن.
ـ نعم، فالأمر محتمل، لهذا لن أثق بهما بعد الآن ــ عبّرت لوْرا ــ.
ـ أنا أفضل أن نغادر هذه المدينة بأسرع وقت ممكن فلا أريد أية مشاكل ــ صرّح خايمي ــ.
ـ أنا كذلك أريد أن نرحل من هنا صباح الغد باتّجاه مدينة بامْبْلونا كما خططنا في البداية ــ قالت لوْرا ــ.

آنذاك أخذ خايمي هاتفه المحمول الذي سبق أن وضعه فوق طاولة بجانب السرير محاولا الاتّصال بعائلته.

ـ الأمر عجيب ! فليس هناك شبكة تغطية ولا أستطيع الاتّصال بوالدي، حاولي أنتِ بهاتفك يا عزيزتي !

أخرجت لوْرا هاتفها المحمول فورا من جيبها وقالت:

ـ أنا أيضا لا أستطيع التقاط إشارة الشبكة، من الأفضل أن نحاول غدا الاتصال عبر مخدع للهاتف، اتفقنا ؟
ـ حاضر مادام ليس لدينا خيار آخر ــ قبِل خايمي ــ.
ـ حسنا، يجب أن ننام لنستريح، فقد كان اليوم طويلا وشاقا، ليلة سعيدة يا حبّي !
ـ ليلة سعيدة ! ــ أنهى خايمي كلامه ــ.

• • • • • •

كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحا، استيقظت إلينا وقامت من الفراش وتوجّهت مباشرة إلى الحمّام، وبالضبط عندما نظرت إلى المرآة صرخت بقوة من شدّة المفاجأة المخيفة، حيث صارتا أذناها مغطّتين بالشعر دون أن تصدق ذلك، فأغلقت عيناها وعادت لتنظر من جديد إلى المرآة، لكن هذه المرّة لم يكن لديها أدنى شك مما رأته بأم عينها، حيث لمستهما متعجّبة دون أن تفهم ما الذي حدث لها. وبسماع صراخها استفاق الجميع راكظين إلى الحمّام مصدر الصوت، وبمجرّد وصولهما إلى هناك تفاجأوا مما شاهدوه.

ـ يا إلاهي ! ما الذي حدث لكِ ؟ ــ سألها فرنسيسكو متعجّبا ــ.
ـ لا أدري ــ أجابت إلينا بحزن ــ.
ـ أنا لم أرى شيئا مشابها كلّحياتي ــ أعلن إكناصيو ــ.
ـ ولا أنا ــ قالت لوْرا مندهشة وخائفة ــ.

ـ هذا شيء لا يصدّق ! ــ علّق خايمي ــ.
ـ يجب أن نخبرها في الحال ! ــ تدخل روبِن ــ.
ـ أجل، هي فقط من يمكنها مساعدتنا في مثل هذه الوضعية ــ أكّدت راكيل ــ.
ـ عن أي شخص تتحدثان ؟ ــ سألهما إكناصيو ــ.
ـ طبعا نقصد العجوز طريزا ــ أجاب روبِن ــ.

حاول فرانسيسكو تهدئة خطيبته قائلا:

ـ اهدئي، سوف نجد حلاّ يا حبيبتي !
ـ لا أستطيع أن أصدق هذا، إني أصبحت كالحيوان ولن أعود كما كنت سابقا ــ قالت إلِينا بحزن ــ.
ـ لا تقلقي، كل شيء سيكون بخير ــ قال خايمي ــ.
ـ ماذا يمكننا أن نفعله الآن ؟ ــ تساءلت لوْرا ــ.
ـ سوف أذهب لأخبر طريزا، فهي الوحيدة التي يمكنها مساعدتنا، اتّفقنا ؟ ــ صرّح روبِن ــ.
ـ حاضر ــ قبِل إكناصيو ــ.
ـ نعم، يجب علينا أن نحاول على الأقل ــ أضافت لوْرا ــ.
ـ هيّا تستطيع إخبارها في الحال ــ استعجل فرانسيسكو الأمر ــ.

آنذاك ذهب روبن بسرعة لرؤية العجوز لتساعدهم.

ـ انتظرني لحظة، سوف أذهب معك ــ طلب خايمي ــ.

توقّف روبن ونظر إلى خايمي قبل أن يقول له:

ـ حاضر، كما تشاء.

نزل الاثنان عبر السلالم، وعند وصولهما إلى الأسفل بالقرب من مكتب الاستقبال دقّ روبن الجرس مرّتين لأنه لم يكن هناك أي أحد. وخلال ثوان جاءت العجوز طريزا بملابس جديدة مختلفة عن التي ارتدتها يوم أمس حيث كانت كلّها سوداء اللون وقالت لهما:

ـ صباح الخير !
ـ لدينا مشكلة ــ أعلن روبن ــ.
ـ يجب أن تساعدينا فالمشكلة خطيرة ــ قال خايمي ــ.

نظرت العجوز إليهما لثوان نظرات غريبة قبل أن تتابع كلامها قائلة:

ـ هل يمكنني مساعدتكم ؟
ـ إن خطيبة صديقي صارت أذناها مشعّرة ــ وضّح خايمي ــ.
ـ يا له من خبر سيء، انتظراني هنا دقيقة وسأعود فورا ــ قالت طريزا ــ.
ـ حاضر ــ ردّ روبِن باختصار ــ.

خلال دقائق عادت العجوز وفي يدها رداء وأمرتهما قائلة:

ـ هيا نصعد إلى الأعلى !
ـ هل يمكنك أن تخبرينا ما الذي وقع لصديقتنا ؟ ــ سألها خايمي ــ.
ـ هناك في الطابق العلوي سوف تعرف ــ أجابته طريزا ــ.

هكذا صعد الثلاثة عبر السلالم إلى الشقة في الطابق العلوي حيث ينتظر الآخرون المساعدة. لقد كانت العجوز طريزا أوّل من دخل إلى هناك حيث كانت الباب مفتوحة شيئا ما، بينما كان الآخرون جالسين بجانب إلِينا التي كانت متألمة حزينة.

دنت طريزا منهم بخطوات ثابتة وبكلّ ثقة ونطقت قائلة:

ـ اعذروني، دعوني أراها من فضلكم ! ــ طلبت منهم طريزا ــ.

بذلك اقتربت السيدة طريزا من إلِينا ولمست أذنيها بلطف قبل أن تقول بألم وحزن عميق:

ـ أنا جد آسفة، لا أستطيع أن أفعل شيئا ــ تنهّدت طريزا ــ.
ـ لماذا ؟ ــ تدخل فرانسيسكو ــ.

ـ فات الآوان، فقد حدث ما حدث ــ أجابت طريزا ــ.

ـ لكن كيف ظهر الشعر في أذنيها ؟ ــ سألتها لوْرا ــ.
ـ نعم، نريد أن نعرف ذلك الآن ــ قال إكناصيو بغضب ــ.
ـ هيا، وضّحي لنا ــ طلب منها خايمي ــ.
ـ أجل أريد أن أعرف كل الحقيقة بكاملها من فضلكِ ــ رجا منها فرانسيسكو ــ.

أجابت طريزا موضحة المبهم قائلة:

ـ ببساطة لأنها لم تحترم قاعدة مهمّة جدا في هذه المدينة !
ـ عن أي قاعدة تتحدثين ؟ ــ سألها إكناصيو ــ.
ـ البارحة أمرتكم أن لا تأكلوا شيئا هذه الليلة ويوم الغد كذلك، فقط يمكنكم شرب الماء، أليس كذلك ؟ ــ أجابت طريزا ــ.
ـ أظن أنها لم تأكل شيئا ــ تدخل خايمي ــ.
ـ أجل، لقد أكلت البارحة بعض التفاح الذي كان في المطبخ ــ أكّد فرانسيسكو ــ.

ظل الجميع مندهشا متبادلين النظرات فيما بينهم، لكن دون أن يفهموا العلاقة بين الطعام والشعر الذي نما في أذنيها، فالأمر لم يكن منطقيا ولا تفسير له.

ـ أظن أن الأمور اتضحت الآن. هنا يجب الخضوع لكل الأوامر التي تشكل قواعد هذه المدينة وإلا كانت النتائج سلبية كما أخبرتكم من قبل، مفهوم ؟

سارع إكناصيو إلى القول:

ـ يجب علينا أن نغادر هذه المدينة الآن فورا يا أصدقاء.
ـ أنا آسفة مرّة أخرى، إذ لا يمكنكم مغادرة هذه المدينة في الوقت الحالي، فهذا أمر، بمعنى آخر هذه قاعدة من قواعد المدينة وإلا ستندمون ما حييتم.
ـ ما الذي سيحدث لو تركنا المدينة المتاهة ؟ ــ سألها خايمي ــ.
ـ من الأفضل أن لا تعرفوا ــ قالت راكيل ــ.
ـ أتصوّر أن الاسم الذي تحمله هذه المدينة ينبع من الواقع ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ هذا صحيح يا أبنائي ــ أكّدت لهم طريزا ــ ، فهذه الحياة غريبة جدا مما نعرف عنها، خاصة إذا كان خيالنا ضيقا أو لا نصدق الأشياء فوق العادة التي يحكيها لنا بعض الأشخاص الذين عادة ما نلقبهم بالمجانين أوالمعتوهين.
ـ ماذا يمكن أن نفعل من أجلها ؟ ــ تمتم فرانسيسكو ــ.
ـ لا شيء ــ أجابت طريزا ــ ، لكن يمكن أن تذهبوا إلى المستشفى لمعرفة رأي الطبيب. فهذا كل ما يمكنني قوله الآن.

مدّت طِريزا يدها وأضافت قائلة:

ـ إلِينا، خذي هذا الرداء لتغطية رأسك وكذا أذنيكِ.

أخذت إلِينا الرداء مادام لم يكن بيدها حيلة. فعلى الأقل يمكنها إخفاء الجزء المخيف الذي لا يتحمّل أحد النظر إليه بما فيه هي نفسها. لقد كانت تلك هي المرّة الأولى التي ستضع فيها الرداء كراهبة.

في تلك اللحظة تجرّأ فرانسيسكو وسأل العجوز قائلا:

ـ لكن أين يوجد المستشفى ؟
ـ إنّه قريب جدّا من هنا، فعندما تخرجون من هذه الدار، تابعوا سيركم باتّجاه الشمال حوالي خمسين مترا، وبالضبط في الجهة اليمنى سوف تجدونه؛ فالبناية زرقاء اللون ذات باب كبيرة لونها أخضر غامق، هل الأمر واضح ؟ ــ شرحت لهم طريزا ــ.
ـ نعم، لكن كيف يمكننا الأداء إذا كنتم هنا لا تقبلوا النقود ولا أية وسيلة أخرى للأداء المعروفة ؟ ــ سألها خايمي ــ.
ـ لا تقلقوا، ففي مكتب الاستقبال أطلبوا البطاقة المسماة "البطاقة الحيويّة"، اتّفقنا ؟
ـ أجل ــ قال إكناصيو ــ.
ـ تبّا، لقد وقعنا في مصيدة هذه المدينة الملعونة، فمنذ البداية اخترنا الطريق الخطأ، لهذا علقنا في عنق الزجاجة ــ قالت لوْرا ــ.
ـ حسنا، سوف أترككم، إذ لدي الكثير من الأشغال، لكن لا تنسوا أنه لا يمكنكم الأكل هذا اليوم كذلك. وداعا يا شباب ! ــ أنهت طِريزا حديثها ــ.

غادرت طِريزا المكان بسرعة كما لو كان لديها عمل مهم جدّا تقوم به بدل مساعدتهم.

ـ نعم فلوْرا على حق، لقد كان خطؤنا عندما اخترنا الطريق القصير، كما أن ذلك الرجل العجوز صاحب الدكان نصحنا بأن نغير مسارنا أو شراء خريطة المدينة المتاهة، لكن نحن كنّا عنيدين.
ـ أنا متفق تماما معكما، لكن الآن قد فات الأوان للحديث عن هذا ــ علّق فرانسيسكو ــ.
ـ أعتقد أنّه يجب علينا تحمّل المسؤولية كما يقول مثل: " كلّ شخص يتحمّل مسؤولية ما فعلت يده" ــ تدخل روبن ــ.
ـ يا أصدقاء، اصمتوا ! ــ صرخ خايمي ــ ، الآن يجب أن نستغل قوانا من أجل إيجاد حل لمشكلتنا دون نقاش تافه لا يفيد بأي شيء، مفهوم ؟
ـ حاضر، حاضر، لا تفقد أعصابك، فأوّل شيء يتعين علينا القيام به هو الذهاب إلى المستشفى، اتفقنا ؟ ــ قالت لوْرا ــ.
ـ اتفقنا ــ قبِل فرانسيسكو ــ.
ـ هيّا بنا فورا ! ــ قال إكناصيو ــ.

• • • • • •

إن بناية المستشفى ضخمة ببابين اثنين، الأولى تتواجد في الواجهة، والأخرى في الخلف. عند المدخل رواق عريض وطويل، الأرض من الرخام مزينة ببعض الأزهار الخضراء اللون. عندما

دخل الأصدقاء هناك اندهشوا من شدّة جمال المكان، إذ تابعوا سيرهم إلى الداخل إلى أن وصلوا أمام مكتب الاستقبال حيث كانت هناك امرأة شقراء في الأربعين من عمرها ترتدي وزرة بيضاء تحمل اسمها.

لقد كان إكناصيو هو من اقترب من تلك المرأة أكثر ناظرت إلى البطاقة التي تحمل اسمها وقال:

ـ صباح الخير يا أَدونْيا !
ـ صباح الخير ! هل يمكنني مساعدتك ؟ ــ ردّت عليه أدونْيا ــ.
ـ إننا نريد الحصول على البطاقة الحيويّة.
ـ إذن أنتم جدد في هذه المدينة ؟
ـ أجل ــ أكّد إكناصيو ــ.
ـ امنحوني بطاقات تعريفكم من فضلكم ــ طلبت منهم أدونْيا ــ.

على الفور أخرج الجميع بطاقة الهوية وأعطوها لتلك المرأة التي قالت:

ـ الآن يجب على كلّ شخص منكم أن يتبرّع بالقليل من دمه وعند الانتهاء من ذلك ستكون بطاقاتكم جاهزة، اتّفقنا ؟
ـ وإذا لم نرد التبرع بالدم ؟ ــ سألها إكناصيو ــ.
ـ إن الأمر إجباري، فذلك قاعدة من قواعد هذه المدينة.

ـ لقد تعبت من سماع قواعد هذه المدينة الملعونة ــ عبّر خايمي عن رأيه ــ.
ـ اهدأ، ليس لدينا خيار آخر ــ طلب منه فرانسيسكو ــ.
ـ نعم، يجب أن نقوم بهذا الأمر من أجل صديقتنا إلِينا، أليس كذلك ؟

تمالك خايمي أعصابه وقال:

ـ حاضر، سأتبرع بدمي من أجل الصداقة.
ـ شكرا لكم جميعا ــ قالت إلِينا بصوت منخفض ــ.

ـ لكن أين يمكن أن نتبرّع بالدم ؟ ــ سألها إكناصيو ــ.

أشارت أدونْيا بيدها وقالت:

ـ في تلك القاعة بالضبط يا أصدقاء.

توجّه الجميع فورا إلى تلك القاعة الواسعة والمجهّزة كثيرا بكل ما يلزم من تجهيزات للتبرع بالدم. عندما دخلوا إلى هناك تم الترحيب بهم من طرف الممرضات بكل فرح وشرعوا في الإجراءات مستعملين طرق متقدّمة جدّا لم يسبق لهم أن رأوها من قبل. وخلال دقائق تمّت العملية وخرجوا من تلك القاعة ليعودوا من

جديد إلى مكتب الاستقبال، حيث اقترب إكناصيو من أدونْيا التي كانت جالسة أمام آلة شبيهة بالحاسوب وقال:

ـ أهلا، هل نستطيع أخذ بطاقاتنا ؟

قامت أدونْيا من الكرسي ومدّت يدها وقالت بابتسامة مرسومة على شفتيها:

ـ خذ يا سيد إكناصيو، مرحبا بكم في المدينة المتاهة !

أخذ إكناصيو البطائق الحيويّة وبطائق الهوية.

ـ أعتقد أنّه بإمكان إلِينا أن تذهب لزيارة الطبيبة ــ صرّح فرانسيسكو ــ.
ـ هذا ما أتمناه ــ قال خايمي ــ.
ـ لكن أين قاعة الطبيبة ؟ ــ تساءل إكناصيو ــ.

اقتربت لوْرا من مكتب الاستقبال وقالت:

ـ معذرة يا أدونْيا، أين هي قاعة الطبيبة ؟
ـ في الطابق الثاني بالجهة اليمنى، اصعدوا عبر السلالم الموجودة في آخر الرواق ــ أجابت أدونْيا ــ.

ـ حاضر، شكرا لكِ ــ ردّت لوْرا ــ ، ثم خاطبت أصدقاءها قائلة: هيّا بنا يا شباب إلى هناك.

بهذا الشكل توجّه الجميع نحو السلالم المغطاة بالزليج الفضي اللون، بينما الجدران كانت مصبوغة باللون الأصفر الفاتح، إذ صعد الأصدقاء إلى الطابق الثاني واستداروا يمينا حيث توجد قاعة الانتظار، وفي آخر القاعة كان هناك مكتب، و بمجرّد أن وصلوا إلى هناك اندهش الجميع ناظرين إلى المرأة في الاستقبال لأنها كانت توأم الفتاة الشابة أدونْيا التي رأوها من قبل.

ـ كيف وصلت إلى هنا بسرعة ؟ ــ سألها فرانسيسكو متعجّبا ــ.
ـ أكيد أنكم رأيتم أختي التوأم أدونْيا، فأنا اسمي أدونْسْيا ــ قالت الفتاة الشابة في مكتب الاستقبال ــ.
ـ إذن أنتِ الأخت التوأم لأدونْيا ــ علّقت لوْرا ــ.
ـ أجل بالضبط ــ أكّدت أدونْسْيا ــ.

آنذاك تدخل فرانسيسكو قائلا:

ـ حسنا، نحن هنا لأن خطيبتي إلينا تريد رؤية الطبيبة.
ـ من هي إلينا من بين الفتاتين ؟ ــ سألته أدونْسْيا ــ.
ـ إنها الفتاة ذات الرداء ــ أجابها فرانسيسكو ــ.
ـ يبدو أنكم جدد في هذه المدينة، هل صحيح ؟
ـ طبعا ــ أكّد فرانسيسكو ــ.

ـ إذن يمكنها رؤية الطبيبة دون موعد مسبق بما أن الزيارة الأولى مجانية.
ـ مجانا، الأمر عجيب ! ــ تعجّب إكناصيو ــ.
ـ هل يمكنك إعطائي بطاقتك الحيويّة يا إلِينا ــ طلبت أدونْسْيا ــ.

مدّت إلِينا يدها ومنحتها البطاقة الحيويّة بفرح قائلة:

ـ خذي يا سيدة أدونْسْيا.

أخذت أدونْسْيا البطاقة وأضافت قائلة:
ـ يمكنكم الجلوس على الأريكة من فضلكم.
ـ حاضر ــ قال الأصدقاء في آن واحد ــ.

جلس الأصدقاء في قاعة الانتظار، بينما ملأت أدونْسْيا بعض وثيقة كالمعتاد وعندما انتهت من ذلك غادرت مكتب الاستقبال مقتربة منهم وتكلّمت بنبرة مرتفعة شيئا ما:

ـ يا إلِينا، الآن يمكنك الدخول لرؤية الطبيبة.

قام فرانسيسكو وخطيبته من مكانهما في آن واحد، ثم سأل أدونْسْيا قائلا:

ـ هل أستطيع الدخول معها ؟

ـ طبعا يمكنك ذلك ــ أجابت أدونْسْيا ــ.

على هذا النحو دخل فرانسيسكو وخطيبته إلى قاعة الفحص حيث كانت الطبيبة جالسة في مكتبها الذي كان مليئا بالأوراق والكتب. وعندما رأتهم الطبيبة طلبت منهم بأدب الجلوس على كرسيين مريحين.

ـ أهلا ! اجلسا من فضلكما.

جلس الاثنان وشكراها.

ـ على ما يظهر فأنتما جديدين في هذه المدينة ــ لاحظت الطبيبة ــ.
ـ أجل ــ أكّد فرانسيسكو ــ.
ـ أنا اسمي روزاليندا، وإني الطبيبة الخاصة بالضيوف الجدد ــ صرّحت روزاليندا ــ.
ـ يشرفني التعرف عليك، أنا أدعى فرانسيسكو.
ـ أنا اسمي إلِينا.
ـ أنا سعيدة بمعرفتكما ــ قالت الطبيبة روزاليندا ــ ، ما هو سبب زيارتكم لي بهذه السرعة ؟
ـ ماذا تقصدين بقولك ؟ ــ سألها فرانسيسكو ــ.
ـ حسب اعتقادي فقد وصلتم فقط البارحة إلى هذه المدينة، أليس كذلك ؟

ـ أجل، لكن زوجتي وقع لها مشكل ــ ردّ فرانسيسكو ــ.
ـ ما هو هذا المشكل ؟

نزعت إلِينا الرداء وقالت بغضب:

ـ انظري إلى الذي حدث لي في هذه المدينة الملعونة !

نظرت الطبيبة إلى أذنيها لبرهة من الزمن قبل أن تقول:

ـ أنا جد آسفة على الذي حصل لكِ، لكنني متأكدة أنك خرقت قاعدة من قواعد هذه المدينة، صحيح ؟
ـ إذا كنت تعتبرين الامتناع عن الأكل قاعدة فالجواب سيكون نعم ــ أجابت إلِينا بصوت مرتفع شيئا ما ــ.
ـ لا تفقدي أعصابكِ يا عزيزتي ! نحن هنا كي تساعدك في حل هذا المشكل، مفهوم ؟
ـ مفهوم ــ قالت إلِينا ــ.

أخذت روزاليندا القلم كان موضوعا داخل كأس متعدّد الألوان وكذا ورقة، ثم بدأت تكتب رموزا صعب أو مستحيل معرفة معناها، وعندما انتهت من ذلك مدّت يدها وأعطت تلك الورقة لإلِينا قائلة:

ـ خذي، يجب أن تقومي بهذه التحاليل، اتفقنا ؟
ـ حاضر.

ـ أفترض أنه يجب الأداء لإجراء هذه التحاليل، أليس كذلك ؟ ــ سأل فرانسيسكو الطبيبة ــ.
ـ طبعا، فأنتم لا تتوفرون على وحدات ببطاقاتكم الحيويّة. لهذا أنصحكم أن تذهبوا إلى "دار العمل" للبحث عن عمل، وبذلك تستطيعون الحصول على بعض الوحدات لإجراء التحاليل وكي تستطيعوا الأكل غدا، مفهوم ؟
ـ نعم، الأمر واضح ــ قال فرانسيسكو ــ.
ـ لكن أين يمكننا إجراء التحليلات ؟ وأين توجد دار العمل ؟ ــ سألت إلِينا ــ.
ـ آه! لقد نسيت هذه التفاصيل المهمة ــ علّق فرانسيسكو ــ.
ـ من أجل مختبر التحليلات اسألوا عن شارع الساحرات، أمّا دار العمل فإنها قريبة من درا الضيافة بشارع الملائكة، هل الأمر واضح ؟ ــ قالت روزاليندا ــ.
ـ أجل ــ أجابت إلِينا ــ.
ـ إذن عندما تجرين التحليلات يجب أن تعودي إلي بالنتائج، مفهوم ؟
ـ نعم ــ قالت إلِينا ــ.
ـ شكرا لكِ يا روزاليندا على كلّ شيء ــ شكرها فرانسيسكو ــ.
ـ لا شكرا على واجب.
ـ إلى اللقاء ! ــ قالت إلِينا ــ.
ـ إلى المرّة القادمة ! ــ ختمت روزاليندا حديثها ــ.

بهذا الشكل سلّم الأصدقاء على أدونْسْيا وخرجوا من المستشفى للبحث عن دار العمل. وفي طريقهم إلى هناك تحدثوا فيما بينهم حول وضعيتها.

ـ إذن يجب علينا كلّنا العمل كي نستطيع الأكل، بينما إلِينا يجب علبها أن تعمل لتأكل وتجري التحليلات ــ أعلن إكناصيو ــ.
ـ بالفعل فالأمر صحيح ــ ردّ فرانسيسكو ــ.
ـ ألم تلاحظوا أمر غريبا في هذه المدينة ؟ ــ سألتهم لوْرا ــ.

ـ كل شيء غريب في هذه المدينة ــ قال خايمي ــ.
ـ أنا قصدت أن أقول أنه ليس هناك سيّارات ــ لاحظت لوْرا ــ.
ـ ليس هناك أناس في الشارع كذلك ــ أضاف إكناصيو ــ.
ـ يجب أن نسأل السيدة طريزا عن شارع الملائكة حيث تتواجد دار العمل ــ قالت إلِينا ــ.
ـ بالطبع فلا خيار آخر أمامنا ــ قال إكناصيو ــ.

بوصول الأصدقاء إلى دار الضيافة دخلت إلِينا وخطيبها إلى هناك لسؤال طريزا التي كانت جالسة على الكرسي بمكتب الاستقبال كما اعتادت أن تفعل.

ـ صباح الخير يا طريزا ! قال فرانسيسكو ــ.
ـ صباح الخير ! هل هناك من جديد ؟
ـ إننا نبحث عن دار العمل... ــ ردّت إلِينا ــ.

ـ هكذا إذن ! عندما تخرجان من هنا التفتوا يمينا وتابعوا المشي بشكل مستقيم إلى أن تصلا إلى الشارع الثاني بالجهة اليمنى، مفهوم ؟ ــ وضحت لهما طريزا ــ.
ـ هل هو شارع الملائكة ؟ ــ سألها فرانسيسكو ــ.
ـ صحيح يا بني.
ـ شكرا لكِ ــ شكرها فرانسيسكو ــ.
ـ إلى الملتقى وحظ سعيد لكما ! ــ أنهت طريزا حديثها ــ.

• • • • • •

إنّ بناية "دار العمل" ضخمة من طابقين، إذ أن نوافذ الطابق السفلي كبيرة من الحديد، أما الطابق العلوي فواجهتها من الزجاج. في حين أن الجدران بالداخل مطلية بصباغة لامعة ذات لون برتقالي، وبالداخل مكتبين، في الأول رجل شاب عمره خمسة وثلاثون سنة، بينما في الثاني امرأة عمرها حوالي خمسة وأربعون سنة، والشخصين كانا بزي بنفسجي اللون.

اقترب إكناصيو من ذلك الرجل الشاب بخطوات وكلّه ثقة وقال:

ـ أهلا !

نظر الرجل إلى إكناصيو مبتسما وطلب منه بأدب الجلوس، ثم قال:

ـ أظن أنك أنتَ وأصدقاؤك تبحثون عن عمل، صحيح ؟
ـ فعلا صحيح ــ أكّد له إكناصيو ــ.
ـ هل لديكم تجربة في ميدان الصباغة ؟ ــ سأل ذلك الرجل ــ.
ـ أنا لدي تجربة لكن هم لا أدري.
ـ لا مشكلة، سوف تكون أنتَ رئيسهم وبذلك سوف يتعلّمون منك بسرعة بما أن المهمة سهلة، اتفقنا ؟
ـ اتفقنا.

أخرج ذلك الرجل مفاتيح من الدرج وقال:

ـ خذ، إنه مفتاح الشقة رقم ثلاثة في دار الضيافة حيث تقيمون حاليا. فهناك سوف تجدون كل شيء من أجل القيام بأعمال الصباغة، لكن يجب احترام التعليمات التي ستجدونها في ورقة فوق الطاولة الموجودة في باحة المنزل، مفهوم ؟
ـ مفهوم.
ـ يمكنكم البدء من الغد، والآن أعطني بطاقاتكم لتحميلها بألف وخمسمائة وحدة ــ قال ذلك الرجل ــ ، ثم أضاف: آه ! لقد نسيت أن أقدم لكَ نفسي، اسمي أدْرِيانو، وأنتَ ؟
ـ أنا أدعى إكناصيو.
ـ سعيد بمعرفتك.
ـ لقد قلت ألف وخمسمائة وحدة ؟ ــ سأله إكناصيو ــ.
ـ نعم بالضبط لأنكم لا تستطيعون العمل غدا دون تناول الطعام، إذ لم تأكلوا شيئا منذ وصولكم إلى هذه المدينة، فبواسطة هذه

الوحدات تستطيعون الذهاب إلى المطعم الذي يوجد أمام دار الضيافة، هل فهمت ؟ ــ قال أدْرِيانو ــ.
ـ نعم فهمت.
ـ هناك أمر آخر جد مهم.
ـ ما هو ؟
ـ الوحدات صالحة لمدّة أسبوع فقط، فهذا يعني وجوب عودتكم إلى هنا للبحث عن عمل آخر، هذه قاعدة يجب احترامها وإلا النتائج ستكون كارثية، اتفقنا ؟
ـ إن هذا الأمر يثير أعصابي، لكن الآن يجب أن أنفذ الأوامر ــ تمتم إكناصيو ــ.

قام إكناصيو من هناك وأخذ بطاقات أصدقائه ومنحها لأدْرِيانو، ثم عاد ليجلس من جديد.

ـ يمكنكم الانصراف الآن ــ قال أدْرِيانو ــ.
ـ والبطاقات ؟
ـ لا داعي للقلق، صباح الغد يمكنكم أخذها من السيدة طِريزا من دار الضيافة، موافق ؟
ـ حاضر.

بمجرّد خروجهم من دار العمل اندهش الأصدقاء لحلول الليل بشكل مفاجئ.

ـ هذا غريب ! لقد حلّ الظلام ــ تعجّبت لوْرا ــ.
ـ شيء لا يصدق، لقد كان الصباح والآن الليل ــ قال خايمي ــ.
ـ كم الساعة ؟ ــ سألهم فرانسيسكو ــ.
ـ إنها الثامنة إلا ربع ــ أجاب إكناصيو ــ.
ـ لنذهب إلى هدفنا يا شباب ! ففي كلّ مرّة نواجه أمرا عجيبا وغريبا ــ عبّرت إلينا ــ.

ـ نعم، لنعد إلى منزلنا ــ ختم إكناصيو كلامه ــ.

● ● ● ● ● ●

ما تزال السيدة طِريزا جالسة على الكرسي بمكتب الاستقبال كما اعتادت كل يوم في تلك الساعة من الزمن. فجأة رأت الأصدقاء يدخلون وخاطبتهم قائلة:

ـ مساء الخير !
ـ لا أعرف ماذا أقول، فقد كان الصباح وفجأة حلّ الظلام ــ قال إكناصيو وه في حيرة من أمره ــ.
ـ إن الزمن هنا مختلف، فكم الساعة الآن يا بني ؟

نظر إكناصيو إلى ساعته الرقمية قبل أن يجيب قائلا:

ـ الثامنة ليلا.

ـ هل أنت متأكد ؟ ــ أضافت طِريزا ــ.
ـ أجل، إني متأكد.

في تلك اللحظة رفعت طِريزا سماعة الهاتف وجعلتها قريبة من مسمعها، ثم ضغطت على أرقام غريبة وبقيت صامتة لبضعة ثوان أثناء المكالمة قبل أن تنهيها، بعدها عادت إلى طرح نفس السؤال على إكناصيو:
ـ كم الساعة الآن يا بني ؟

نظر إكناصيو إلى ساعته مرّة أخرى وقال باندهاش:

ـ لا يمكن، الساعة تشير إلى العاشرة ليلا !
ـ إن الأمر عجيب ! ــ علّقت لوْرا ــ.
ـ كيف تمكنت من فعل هذا الأمر ؟ ــ سأل خايمي العجوز ــ.
ـ أجل كيف ذلك ؟ خاصة أنك لم تنبسي بكلمة واحدة عند المكالمة ــ قال فرنسيسكو ــ.
ـ هل تريدون فعلا معرفة الأمر ؟ ــ سألتهم طِريزا ــ.
ـ نعم ــ أجاب الأصدقاء.
ـ هنا، في هذه المدينة أشخاص يستطيعون التواصل عن طريق التخاطر، والشخص الذي كلّمته قبل قليل يمتلك هذه الهبة ــ شرحت لهم طِريزا ــ.
ـ شيء لا يصدق، فقد شاهدت هذا فقط في أفلام الخيال العلمي ــ صرّح إكناصيو ــ.

ـ إذن الخيال العلمي يطلعنا على الحقيقة بشكل أو آخر ــ استنتجت لوْرا ــ.
ـ حسنا، لقد كشفت لكم ما يكفي اليوم، الآن يمكنكم الصعود إلى شقتكم، بينما أنا سأستريح قليلا، وداعا !
ـ وداعا ــ ردّ الأصدقاء ــ.

بهذه الشكل، صعد الأصدقاء إلى الطابق العلوي، وعند فتح الباب وجدوا مختلف أنواع المشروبات فوق المائدة الموجودة بباحة المنزل.

ـ وأخيرا لدينا ما نشربه ! ــ أعلن إكناصيو ــ.
ـ هذا رائع ! لدينا عصير الإجاص، والبرتقال وأفضل الأنواع من النبيذ ــ قال خايمي وهو ينظر إلى المائدة ــ.
ـ يجب أن تنتظروا حتى الغد قبل أن تشربوا ــ قالت إلِينا ــ.
ـ لا، إني أتذكر جيّدا عندما منعتنا العجوز من الأكل فقط، لذا لدينا كل الحق في الشرب دون أي مشكل ــ تدخل فرانسيسكو ــ.
ـ أنا أفضل شرب كأس عصير البرتقال ــ قالت لوْرا ــ.
ـ يا أصدقاء ! غدا سوف نعمل، لنستغل هذه الليلة للتمتع بهذه المشروبات ــ أعلن إكناصيو ــ.
ـ أنا لا يعجبني القيام بأعمال الصباغة لكن يجب علي أن أفعل ذلك ــ علّقت إلِينا ــ.
ـ هل فهمتم شيئا في هذه المدينة المتاهة ــ سألهم إكناصيو ــ.

ـ على ما يبدو أن ما قاله ذلك الرجل العجوز صاحب الدكان الذي أراد أن يبيع لنا خريطة المدينة المتاهة صحيح ــ تذكّر خايمي ــ.
ـ نعم، لكن الآن قد فات الأوان، ومن الأفضل نسيان هذا الموضوع.

في تلك الآونة خرج السيد روبِن من غرفته مقتربا منهم وهو يضع يديه في جيبه، ثم سألهم قائلا :

ـ بماذا تحتفلون ؟
ـ إننا لا نحتفل، فقط عندما دخلنا إلى هنا وجدنا هذه المشروبات فوق المائدة ــ أجابه إكناصيو ــ.
ـ أنا كنت مع زوجتي ولم أرى من الذي أحضر كل هذا ــ قال روبِن ــ.
ـ نادي على زوجتك كي تشرب معنا ــ طلبت لوْرا من روبِن ــ.
ـ لا داعي لذلك، إنها نائمة، أما أنا فلم أستطع النوم ــ أضاف روبِن ــ.
ـ روبِن ! هل حصلت على البطاقة الحيويّة ؟ ــ سأله إكناصيو ــ.
ـ لا تقلق من أجلي، إني أمتلكها بالرغم من أنه لا قيمة لها ــ ردّ روبِن ــ.
ـ كيف لا قيمة لها ؟ فبدونها لا تستطيع العمل وبالتالي لن تأكل ــ قال إكناصيو ــ.
ـ نعم، نعم أنت على صواب، إنه ليس لدي رغبة في الحديث حول هذا، إلى الغد ــ قال روبن ــ.
ـ نم في هدوء ! ــ قال إكناصيو متعجّبا ــ.

ـ أتركه وشأنه، إني أشعر أن لديه مشكلة خطيرة ولا يريد الحديث عنها ــ رأت إلينا ــ.
ـ ربّما صحيح، إني أجده غريبا، لكن يوما ما سوف يقول لنا سرّه ــ صرّح إكناصيو ــ.
ـ حسنا يا أصدقاء، إني أشعر بالنعاس، سوف أذهب لأنام ــ أضافت إلينا ــ.
ـ أنا أيضا أحسّ بالتعب، ليلة سعيدة ! ــ قالت لوْرا ــ.
ـ انتظريني ! سوف أرافقك ــ تدخّل خايمي ــ.
ـ أظن أنه يجب ،ليّ أن أنام كي أتمكّن من العمل غدا ــ قال فرانسيسكو ــ.
ـ لا أريد البقاء وحدي هنا، لذا سأنصرف لأنام ــ أنهى إكناصيو كلامه ــ.

● ● ● ● ● ●

كانت الظهيرة من اليوم التالي، الجميع استيقظوا بسبب الرنين في الشقة بأكملها، فجاء الكل إلى باحة المنزل متسائلين عما يحدث دون أن يفهموا شيئا. استمرّ الرنين لثوان وتوقّف بشكل مفاجئ.

ـ ماذا كان هذا الصوت ؟ وأين مصدره ؟ ــ تساءل خايمي بتعجّب ــ.
ـ الساعة تشير إلى الثانية عشرة ظهرا، كيف ظللنا نائمين إلى غاية الآن ؟ ــ قال إكناصيو ــ.

ـ الأمر غريب ! في كل يوم يحدث لنا شيئا عجيبا، فحظنا سيء، فقد كنت أحلم حلما جميلا ــ عبّرت لوْرا ــ.
ـ حسنا يا أصدقاء، الأمر عادي، لقد كانت إشارة الذهاب إلى المطعم لتناول الطعام، وبعدها يجب عليكم البدء في العمل ــ تدخّلت راكيل ــ.
ـ كيف تعرفين أنتِ كل هذا ؟ ــ سألتها إلِينا ــ.
ـ أنا لست مستعدّة لإعطائكم تفاصيل أكثر، حظ سعيد للجميع ! ــ قالت راكيل وتوجهت مباشرة إلى غرفتها ــ.
ـ لقد سمعتموها، هيّا استعدّوا لنذهب إلى المطعم دون نسيان بطاقاتكم، مفهوم ؟
ـ مفهوم، لكن أنا لا تعجبني المفاجآت ــ علّقت إلِينا ــ.

خلال لحظات نزل الأصدقاء الخمسة إلى الأسفل مع أخذ بطاقاتهم معهم، ثم توجهوا بعدها إلى المطعم الذي يقع أمام دار الضيوف. وعند فتحهم لباب المطعم تبيّن لهم كم كان كبيرا، فقد كانت الطاولات المستطيلة الشكل مرتبة في صفوف مستقيمة، وحول كل مائدة ستّة كراسي من خشب بني اللون، إذ كانت الطاولات مغطاة بمناديل من الثوب الوردي اللون. وحينما دخلوا إلى هناك شمّوا رائحة الطعام الرائعة والشهية.

هكذا، جلس الأصدقاء على مائدة توجد بالجهة اليمنى للباب. لقد كان هناك العديد من الأشخاص، بعضهم به تشوّه في جسمه، كما كان هناك أطفال مشوّهون يتناولون الطعام بجانب آبائهم.

في تلك اللحظة اقترب منهم نادل بوزرة زرقاء اللون، ذو قامة طويلة وضخما، شعره قصير بني اللون، أنفه كبير شيئا ما، عيناه سوداوان لامعتان، وجهه مستدير، لكن كان لطيفا ومحبوبا حيث قال بأدب:

ـ مرحبا بكم يا شباب ! اسمي إميلْيو، أنا خادمكم في المطعم، من فضلكم امنحوني بطاقاتكم.
ـ يشرفنا معرفتكَ ــ قال الأصدقاء ــ.

أخذ إميليو البطاقات وأضاف قائلا:

ـ حسنا، سوف أعود في الحال.

ـ ها انتظر ! لم نطلب بعد شيئا لنأكله ــ صاح إكناصيو ــ.
ـ نعم، أعرف ذلك يا سيدي، فهنا نمنح ما تم طهيه، كما أنه كلّ يوم بوجبة خاصة، والآن دعوني أحضر لكم الطعام ــ ردّ إميليو ــ.

ـ حاضر، أعذرني عن الإزعاج ــ اعتذر إكناصيو ــ.
ـ ليس هناك مشكلة يا سيدي ! ــ قال إميليو مطأطئا رأسه ــ.
ـ هل انتبهتم إلى الحالة الجسدية لبعض الأشخاص هنا ــ سألهم خايمي ــ.

ـ أجل، من الأفضل أن تصمت، فلا أريد الحديث عن هذا هنا وخاصة أمامهم، مفهوم ؟ ــ تمتم فرانسيسكو ــ.
ـ الأمر واضح أنه حدث لهم نفس الشيء مثلي ــ قالت إلِينا ــ.

عاد النادل إميليو بسرعة وهو يحمل صحونا مملوءة بالأرز مع الخضروات وكذا خمس كؤوس من عصير العنب، دون أن ينسى أن يرجع لهم البطاقات الحيويّة قائلا بابتسامة:

ـ مرحبا بكم وشهية طيّبة !
ـ ها ! رائحة الطعام شهية، لا أستطيع الانتظار أكثر ! ــ عبّر خايمي ــ.
ـ نعم، الرائحة رائعة، فالطعام شهي جدّا ــ أكّد إكناصيو ــ.
ـ أنا لا يعجبني الأرز بالخضروات، لكن ليس لدي خيار آخر ــ صرّحت إلِينا ــ.
ـ أمّا أنا فتعجبني كثيرا هذه الأكلة وخاصة المطهيّة في المطعم ــ قالت لوْرا ــ.
ـ شهيّة طيبة يا أصدقاء ! ــ ختم فرانسيسكو الحديث ــ.

عندما انتهوا من تناول الطعام قرّرت إلِينا وخطيبها الذهاب إلى المختبر لإجراء التحليلات، بينما توجّه الآخرون إلى دار الضيوف من أجل بدء أعمال صباغة الشقة رقم ثلاثة.

مرّت أربع ساعات وعادت إلِينا و فرانسيسكو من المختبر متعبان وتوجّها مباشرة إلى الشقة رقم ثلاثة حيث يتواجد أصدقاؤهم، إذ كانوا يعملون بنشاط وإرادة كي يتمموا العمل بسرعة للحصول على عمل آخر. لقد كانت باب الشقة مفتوحة شيئا ما فدفعتها إلِينا ودخل الاثنان هناك ووجها التحيّة.

ـ مساء الخير يا أصدقاء ! إني أراكم تعملون بسرعة كما لو كانت لديكم تجربة من قبل في هذا النوع من العمل ــ قال فرانسيسكو ــ.
ـ ما الذي تقوله ؟ إنهم مع صاحب التجربة ــ ردّ إكناصيو ضاحكا ــ.
ـ كيف كانت النتائج ؟ ــ سألتهم لوْرا ــ.
ـ أفّ ! كان هناك أناس كثيرون واضطررنا إلى الانتظار وقتا طويلا، أمّا نتائج التحليلات فبعد أربعة أيّام ــ أخبرتهم إلِينا ــ.
ـ أربعة أيّام ! ــ تعجّب خايمي ــ.
ـ إذن يجب أن نبقى هنا في هذه المدينة إلى غاية أن تتحسّن صديقتنا إلِينا ــ استنتجت لوْرا ــ.
ـ نعم صحيح، فالصداقة تعني التضحية، أليس كذلك ؟ ــ قال إكناصيو ــ.
ـ طبعا ــ أكّد خايمي ــ، بصراحة الصداقة الحقيقية عند الشدّة وليس فقط في اللحظات الجميلة،إذن لنكن متّحدين قبل فوات الأوان كما يقول المثل: "الصديق في الشدّة لا في الرخاء".
ـ أنا سأظل هنا إلى غاية خروجنا كلّنا سالمين وفي صحّة جيّدة، فهذا وعد منّي ــ أضاف إكناصيو ــ.

ـ شكرا على تضامنكم معي يا أصدقاء ! ــ شكرتهم إلِينا من أعماق قلبها ــ.
ـ لا داعي للشكر يا عزيزتي ! ــ قال لها فرانسيسكو ــ.
ـ أظن أن يكفي عملا اليوم وغدا سوف نتابعه. أعتقد أنه في ظرف ثلاثة أو أربعة أيام على الأكثر سوف ننهي هذا العمل ــ صرّح إكناصيو ــ.
ـ هيّا لننزع ثياب العمل ولنعد إلى مسكننا لنستريح ــ قال خايمي ــ.
ـ حسنا لنلتقي هناك، إلى ذلك الحين ! ــ أنهى فرانسيسكو كلامه ــ.
ـ إلى ذلك الحين ! ــ ردّ البقيّة ــ.

• • • • • •

حلّت الليلة من اليوم التالي، كان الأصدقاء في البهو بما فيهم السيد روبِن وزوجته راكيل. لقد كانوا يتحدّثون عن عدّة أشياء إلى أن لاحظ إكناصيو أمرا غريبا قائلا:

ـ يا أصدقاء ؤ ألم تلاحظوا شيئا ؟
ـ ماذا ؟ ــ قال خايمي ــ.

ـ أنا لم أذهب للمرحاض منذ وصولي إلى هذه المدينة، وليس لدي رغبة في التبول بالرغم من شربي للمشروبات كلّ هذه الأيام، كما أن اللحية لم تنمو ولو لمليمتر واحد ــ لاحظ إكناصيو ــ.
ـ نعم، أنت على صواب، كيف لم ننتبه إلى هذا الأمر ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ لديكم كلّ الحق، هذا أمر غريب ــ قالت لوْرا ــ.
ـ الأمر عاد ــ تدخلت راكيل ــ، فالطعام والمشروبات في هذه المدينة مختلفة تماما عمّا تعرفونه.
ـ ما الذي تقوله ؟ ــ تساءلت إلينا ــ.
ـ السؤال الذي يجب طرحه هو: كيف عرفت راكيل هذه المعلومة ؟ ــ قال إكناصيو ــ.
ـ ربما أخبرها شخص ما بذلك ــ قال روبِن متمتما ــ.
ـ ربما يقول الحقيقة ــ علّق فرانسيسكو ــ.

ثم سخر إكناصيو قائلا:

ـ أجل فهم دائما يقولون الحقيقة.
ـ أنا متعب ــ قال روبِن ــ، هيّا يا راكيل لننام.

آنذاك بالضبط علّق إكناصيو قائلا:

ـ الفرار وإخفاء الحقيقة عنّا هو كل ما يعرفه.

ذهب روبِن وراكيل إلى غرفتهما دون الحديث أكثر حول ذلك الموضوع.

ـ حسنا، لننسى الموضوع كما من قبل، لكن في آخر المطاف سوف نعرف كل الحقيقة ــ قال خايمي ــ.

حافظ الأصدقاء على هدوئهم وتابعوا حديثهم في سلام قبل أن يخلدوا للنوم.

• • • • • •

هكذا مرّت أربعة أيام وحان الوقت للذهاب من أجل إحضار نتائج التحليلات الخاصة بإِلِينا. لهذا ففي ذلك اليوم استيقظ فرانسيسكو وخطيبته إِلِينا باكرا لربح الوقت من أجل اصطحاب تلك النتائج بعد سحبها إلى الطبيبة.

عندما وصلا إلى المستشفى كان عليهما أن ينتظرا دورهما نظرا لكثرة الناس هناك، حيث أن كل شخص لديه مشكلة مختلفة عن الآخرين، لكن الغريب في الأمر أنه لم يحاول أي أحد الحديث كما لو تم إجبارهم على السكوت، وذلك بالرغم من محاولة فرانسيسكو وإِلِينا التي باءت بالفشل، مما جعلهما يفقدا أعصابهما، فاقتربت منهما أدونْسْيا وطلبت منهما بأدب أن يصمتا وإلا أجّلت الموعد ليوم آخر، فلم يكن أمامهما سوى الخضوع والسكوت.

جاء دور إلِينا ودخل الاثنان إلى قاعة الطبيبة ومنحاها نتائج التحليلات لرؤيتها وتفسيرها لهما لأنّها كانت مكتوبة بلغة مجهولة.

بذلك نظرت الطبيبة روزاليندا إلى تلك النتائج باهتمام كبير، وفي الأخير وصفت لإلِينا بعض الأدوية على أمل أن تتحسّن وإن كان لدى الطبيبة شكوك حول فعالية تلك الأدوية، لأن نتائج التحليلات كانت سلبية، ثم خاطبت إلِينا قائلة:

ـ حسنا، يجب عليك أخذ الدواء لمدّة ثلاثة أيّام متتالية، وأتمنى من أعماق قلبي أن تشفي بسرعة.
ـ حاضر ــ ردّت إلِينا ــ.
ـ لكن أين يمكننا أن نجد الصيدلية من فضلكِ ؟ ــ طلب منها فرانسيسكو ــ.
ـ أظن أنك تعرف أين توجد دار العمل ــ قالت روزاليندا ــ.
ـ نعم ــ أكّد فرانسيسكو ــ.
ـ إذن في أحد الأركان بعد شارع الملائكة.
ـ حاضر، حاضر، شكرا لكِ على كل شيء ــ شكرتها إلِينا ــ.
ـ لا شكرا على واجب، وداعا ! ــ ختمت روزاليندا حديثها ــ.

● ● ● ● ● ●

♦ **الأسبوع الثاني في دار الضيوف:**

حلّ الصباح من اليوم التالي، حيث استيقظ فرانسيسكو وإلينا باكرا للذهاب إلى الصيدلية لشراء الأدوية، بينما ظلّ الآخرون نائمين.

غادر الاثنان المكان باتّجاه هدفهما دون تضييع المزيد من الوقت، وخلال دقائق معدودة تمكّنا من إيجاد الصيدلية التي تحمل اسم: "صيدلية العنيدين"، وولجا هناك وقالا:

ـ صباح الخير !
ـ صباح الخير ! ــ ردّ الصيدلي ــ.

مدّت إلينا له الوصفة الطبية مع بطاقتها الحيويّة وقالت:
ـ أريد هذه الأدوية من فضلك.

نظر الصيدلي إلى الوصفة الطبية وكذا البطاقة الحيويّة لثوان وقال:

ـ خذي بطاقتك، إننا نمنح هذه الأدوية فقط إذا تبرّعت بثلاث قريرات من دمك، كما أن بطاقتك لم تعد صالحة، ألا تعرفين ذلك ؟
ـ لا.
ـ آه ! لقد تذكرت، لقد قالوا لنا في دار العمل أن البطاقة صالحة فقط لمدّة سبعة أيام على الأكثر ــ قال فرانسيسكو ــ.

ـ هكذا إذن، لقد نسيتم الأمر، لكن إذا مازلت تريدين هذا الدواء يجب أن تتبرّعي بالدم كما قلت سابقا، هل أنتِ موافقة ؟

نظرت إلِينا إلى خطيبها لبرهة بحزن قبل أن تجيب:

ـ نعم، نعم موافقة، ليس هناك إمكانية أخرى.
ـ حسنا، انتظري في تلك القاعة من فضلك ــ طلب منها الصيدلي ــ.
ـ حاضر.

• • • • • •

مرّت ثلاث ساعات، فعاد فرانسيسكو وإلِينا إلى دار الضيوف، وعند دخولهما إلى هناك وجدا الآخرين جالسين في باحة المنزل يتحدثون فيما بينهم.

ـ يا أصدقاء ! وأخيرا عدتما ــ صاح خايمي ــ.
ـ أين ذهبتما في الصباح الباكر ؟ ــ سألهما إكناصيو ــ.
ـ لقد ذهبنا إلى الصيدلية ــ أجابت إلِينا ــ.
ـ أنتما محظوظان، لقد تم قبول تجديد بطاقتيكما الحيويّة، لكن يجب أن تتركا البطاقات القديمة لدى السيدة طِريزا ــ تدخلت لوْرا ــ.
ـ إذن لقد ذهبتم إلى دار العمل ــ قال فرانسيسكو ــ، هذا جيّد لقد علمنا أن بطاقتينا صارتا غير صالحتين.

ـ على الأقل أرى أنكما قد اشتريتما الدواء ــ لاحظت لوْرا ــ.
ـ لكن كيف ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ لقد تبرّعتْ بثلاث قريرات من الدم ــ قال خايمي ــ.
ـ يا للمسكينة ! ــ علّقت لوْرا ــ.
ـ إلينا، أنتِ يجب عليك أن تنظفي الشقة رقم خمسة حينما ننتهي من صباغته بمن فيهم أنتِ، فقد كان هذا شرط أدْرِيانو لكي يجدّد بطاقتكِ الحيويّة ــ وضّح إكناصيو ــ.
ـ وأنا ؟ ــ تساءل فرانسيسكو ــ.

ـ أنتَ فقط يجب عليك أن تقوم بأعمال الصباغة، فبسببها ذهبت إلى الصيدلية حسب ما قاله لنا أدْرِيانو ــ أضاف إكناصيو ــ.
ـ لننسى المشاكل ولنذهب إلى المطعم لنتغذى ــ قال خايمي ــ.
ـ لكن أين روبِن و راكيل ؟ ــ سألهم فرانسيسكو ــ.
ـ أجل، أين يذْهبون ؟ وكيف يتمكنون من العيش هنا دون أن يعملا ؟ ــ تساءل إكناصيو ــ.
ـ على ما يبدو فإن لهم علاقة بأعضاء هذه المدينة ــ رأت إلِينا ــ.
ـ هذا ممكن ــ قالت لوْرا ــ.
ـ إن الأمر محتمل جدّا ــ أضاف إكناصيو ــ.
ـ إهدؤوا ــ طلب منهم خايمي ــ، فعاجلا أم آجلا سوف نعرف إذا ما كان ذلك صحيح.

ـ حسنا، لنذهب لنتغذى، فأنا جائعة، كما يجب عليك تناول الدواء ــ قالت إلِينا ــ.
ـ حاضر، هيّا بنا إلى المطعم ! ــ ختمت لوْرا كلامها ــ.

• • • • • •

مرّت ثلاثة أيام، كان الأصدقاء الخمسة مجتمعين بالبهو يناقشون وضع إلِينا التي تناولت الدواء دون أي نتيجة إيجابية تذكر، إذ كانوا حزينين ومصدومين خاصة إلِينا التي كانت تعيسة وغاضبة معبّرة عن حزنها بقولها:

ـ لن أعود إلى وضعي الطبيعي أبدا، ولن أنظف الشقة مهما كان.
ـ من فضلك يا عزيزتي، لا تقولي هذا ــ رجا منها فرانسيسكو ــ.
ـ أجل إنه على صواب، لا تكوني متشائمة، فكلّ شيء سيكون على ما يرام ــ أكّد لها إكناصيو ــ.
ـ هذا لن يحدث أبدا ــ صاحت إلِينا ــ، افتحوا عيونكم، فنحن تائهون في هذه المدينة، فالأمر واضح أننا وسط المتاهة ولن نستطيع أبدا الخروج منها، فقد وقعنا في الفخ منذ البداية.
ـ ماذا لو كانت على حق ؟ ماذا يمكننا أن نفعل ؟ ــ تساءلت لوْرا ــ.
ـ أنا بدأت أشك أننا وقعنا في وضعية غير طبيعية لا نستطيع تخليص أنفسنا منها بسهولة ــ أضاف خايمي ــ.
ـ اهدؤوا من فضلكم ! ــ أمرهم إكناصيو ــ، يجب أن لا نفقد الأمل، علينا أن نقاوم جميعا حتى النهاية. لا تنسوا أن عائلاتنا تنتظرنا

وأنهم منشغلون من أجلنا الآن. لهذا أتركوني أفكر في الحلّ، اتفقنا ؟
ـ أنا سوف أقوم بجولة وأعود بسرعة ــ صرّح فرانسيسكو بتوتر ــ.

في تلك اللحظة بالضبط فُتِحت باب الشقة، لقد كان السيد روبن وزوجته راكيل اللذان سمعا جزءا من حوار الأصدقاء الذين كانوا يتكلّمون بصوت مرتفع. عند دخولهما توجّها مباشرة إلى البهو لمعرفة ما يجري.

ـ مرحبا ! لقد سمعنا نقاشكم من الخارج، ما الذي حدث لكم ؟ ــ قال روبِن ــ.
ـ كما ترى، فحالة إلينا لم تتحسّن بالرغم من تناولها للدواء. لقد تعبنا من العيش في هذه المدينة الملعونة ــ ردّ خايمي ــ.
ـ لماذا تسألنا وأنتَ لا تريد مساعدتنا ؟ ــ صاح إكناصيو بصوت مرتفع ــ، فأنتما الاثنان تعرفان ما الذي يحدث لنا، أليس كذلك ؟
ـ تقريبا أنت على صواب، لكن لا نستطيع فعل أي شيء لمساعدتكم، حيث أن... ــ قالت راكيل ــ.

تدخّل روبِن دون أن يتركها تتمم ما أرادت قوله.

ـ اسكتي ! ـ أمر روبِن زوجته ــ، لا نريد الوقوع في مشاكل أخرى، هل فهمتِ ؟

ـ دعها تتكلّم بحريّة، فمن المؤكد أرادت أن تخبرنا بشيء مهم، أليس كذلك ؟ ــ أضاف إكناصيو ــ.

ظلت راكيل صامتة وطأطأت رأسها خاضعة لأوامر زوجها وهي ترتعد من الخوف.

ـ هيّا بنا إلى غرفتنا ــ أمرها روبِن ــ، إنّكِ متعبة ويجب أن تستريحي.

بهذه الطريقة ذهب الاثنان إلى غرفتهما حيث تابعا الحديث بصوت منخفض وهما جالسان على السرير وزوجها ممسك بيديها ويحدثها بلطف.

ـ اسمعيني يا عزيزتي، يجب أن لا نفشي سرّنا وإلا عرّضنا حياة ابنتنا للخطر، فأنا سوف أرى كيف يمكنني مساعدتهم، لكن عديني أن لا تخبريهم أي شيء في الوقت الحالي، اتّفقنا ؟
ـ موافقة، لكن لا تنسى أنه لا يجب أن تثق في الأشخاص الذين يحتجزون ابنتنا ــ ردّت راكيل ــ.
ـ حاضر، لا تقلقي، سوف أفعل ما بوسعي لأخرجها من المستشفى ــ ختم روبِن كلامه ــ.

• • • • • •

كان فرانسيسكو داخل المستشفى، لقد كان غاضبا جدّا، حيث ولج إلى قاعة الطبيبة بالقوّة وأمسك روزاليندا من عنقها مهدّدا إياها بالقتل، ثم صاح قائلا:

ـ إن حالة خطيبتي لم تتحسّن بالرغم من تناولها للدواء، أيمكنك أن تشرحي لي هذا الأمر ؟ هيّا تكلّمي بسرعة، فأنت تتحمّلين المسؤولية، ويجب عليك أن تجدي الحلّ وإلا قتلتكِ.

في تلك اللحظة تدخل رجلا الأمن وأخرجا فرانسيسكو من هناك ورموه في الشارع مهددين إياه أنه سوف يدفع الثمن لكونه تجرّأ على إذاية الطبيبة وشتماه في آخر المطاف.

بعد ذلك قام فرانسيسكو من الأرض وانصرف مهدّدا إياهما:

ـ يوما ما سوف تدفعان الثمن يا ملاعين !

أغلق رجلا الأمن باب المستشفى لتفادي أي مشاكل جديدة معه، بينما عاد فرانسيسكو إلى دار الضيوف.

● ● ● ● ● ●

كانت الساعة تشير إلى الثالثة مساء، كان كل من خايمي وفرنسيسكو وإلِينا ولوْرا في باحة المنزل، بينما كان روبِن وراكيل غائبان لذهابهما من أجل غرضهما الخاص، ونفس الشيء بالنسبة لإكناصيو الذي لم يكن له خيار سوى اللحاق بهما دون أن يدركا ذلك.

لقد كان السيد روبِن وخطيبته يمشيان بسرعة باتجاه مكان لم يسبق لإكناصيو وأصدقائه أن مرّوا به، إذ كان إكناصيو يتّبع خطاهما إلى غاية أن وصلا إلى بناية واجهتها بنفسجية اللون، إنها السينما حيث كانت اللوحة الإرشادية تحمل اسم: "سينما الماضي".

هكذا دخل روبِن إلى هناك، بينما تابعت زوجته طريقها سالكة اتّجاها آخر نحو زنقة، فتبعها إكناصيو دون تردّد مادام عرف أين يمكنه أن يجد زوجها روبِن. بعد دقيقتين أو ثلاث دقائق مشيا بسرعة متوسطة، توقّفت راكيل أمام مستشفى يحمل اسم "مستشفى الفتيات"، ثم دخلت هناك بعدما منحت بطاقتها لرجلي الأمن عند مدخل المستشفى، لذلك توقّف إكناصيو على بعد خمسين مترا من المستشفى حتى لا يُرى من طرف أي أحد، لكنّه لم يعرف ما الذي يجب فعله، فقرّر العودة إلى دار الضيوف بسرعة.

كان الأصدقاء ما يزالون في باحة المنزل جالسين ويناقشون وضعيتهم ومنتظرين المستجدات.

ـ لقد تأخر في العودة ــ رأى فرانسيسكو ــ، ربّما حدث له أمر سيء، أتمنى أن لا يكون خطيرا.
ـ لا تقلق، إنه بخير ــ أكّد خايمي ــ، لقد ذهب ليتبع ذلك الشخصين الغريبين اللذين يخفيان الحقيقة عنا. إنه أملنا الوحيد لمعرفة أسرار هذه المدينة، إذ لا يمكن أن نبقى ساكنين، هل فهمتم ؟
ـ طبعا، لقد كان علينا أن نقوم بشيء ما بدل البقاء مكتوفي الأيدي كما لو لم يحدث أي شيء ــ عبّرت لوْرا ــ، فكلنا هنا في خطر، لذا يجب أن نساعد إلينا وأن نترك هذه المدينة بأسرع ما يمكن، هل أنتم متفقون معي ؟
ـ نعم، متفقون، ولكن الآن يجب أن ننتظر حتى يعود إكناصيو لكي نعرف ما نستطيع فعله، هل هذا واضح ؟ ــ قال خايمي ــ.

في تلك اللحظة فتحت باب الشقة، لقد كان إكناصيو الذي عاد من مهمّته، فانهالت عليه الأسئلة كما لو كان في التحقيق لدى الشرطة دون أن يتركوا له فرصة الجلوس ليستريح.

ـ ما الذي حدث ؟ هل لاحظت شيئا غير عادي ؟ ــ سأله فرانسيسكو ــ.
ـ هل شاهدت أمرا غريبا ؟ وأين ذهبا ؟ ــ سأله خايمي ــ.
ـ هيّا أخبرنا إذا ما كانا مسؤولان عن الوضعية التي نتواجد فيها، فأنا لا أستطيع الثقة فيهما ــ صرّحت إلينا ــ.
ـ مهلا، دعوه يتكلّم ــ طلبت منهم لوْرا ــ، لا أريد سماع المزيد من الأسئلة من فضلكم.

ثم بعد ذلك بدأ إكناصيو يشرح لهم الأمر قائلا:

ـ حسنا يا أصدقاء، هل تتذكرون حينما قال لنا السيد روبِن أن زوجته ليست بخير منذ أن فقدا ابنتهما ؟
ـ أجل، إني أتذكر ذلك ــ أجاب خايمي ــ.
ـ نعم نتذكر ذلك، لكن ماذا هناك ؟ ــ قالت إلِينا ــ.

فأجاب إكناصيو قائلا:

ـ أظن أنها في مستشفى الفتيات.
ـ كيف تظن ذلك ؟ ــ سأله فرانسيسكو ــ.
ـ لقد رأيت راكيل تلج تلك المستشفى ــ وضّح إكناصيو ــ.
ـ وماذا عن زوجها ؟ ــ سأله فرانسيسكو من جديد ــ.
ـ لقد دخل إلى السينما، ربما يعمل هناك، ففي الحقيقة الأمر غير واضح بالنسبة لي ــ أوضح إكناصيو ــ.
ـ ربما يكون فردا ينتمي إلى هذه المدينة، فكل شيء ممكن، إذ يجب أن نبحث في الأمر غدا، أما الآن فيجب علينا أن نذهب إلى المطعم لتناول الغداء ــ رأى خايمي ــ.
ـ نعم، فأنا جائعة ولم أتناول شيئا منذ الصباح ــ قالت لوْرا ــ.
ـ كما تريدون، هيّا بنا إلى هناك ــ ختم إكناصيو حديثه ــ.

● ● ● ● ● ●

لقد كان المطعم خاليا من الناس باستثناء النادل إميليو، فجلس الأصدقاء الخمسة حيث اعتادوا الجلوس، وفي الحال اقترب منهم النادل الذي أخذ بطاقاتهم وخلال برهة من الزمن عاد بأطباق مليئة بالمعجنات مع صلصة الطماطم، وكذا سلّة مليئة بالموز، لكن هذه المرة بدأ النادل يتكلّم بلهجة مختلفة عن سابقاتها دون أدب:

ـ أنتِ يا إلِينا، تستطيعين الأكل بالرغم من أنك رفضت تنظيف الشقةَ، لكن قريبا سوف تدفعين ثمن ذلك.

آنذاك تدخل فرانسيسكو وقال:

ـ دعها في سلام !
ـ آه ! أنتَ مازلت تجرؤ عن الحديث بهذه الطريقة بالرغم مما قمت به سابقا ــ قال إميليو ضاحكا ــ، لكن قريبا سوف تندم، الآن كولوا في سلام، شهية طيّبة !

انصرف النادل تاركا بطاقاتهم الحيويّة فوق المائدة دون أن يضيف كلمة واحدة.

ـ ما الذي قصده بقوله ؟ ماذا فعلت يا فرانسيسكو ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.

ـ حسنا، لقد تناقشت مع الطبيبة وفقدت السيطرة على نفسي، حيث قمت بتهديدها بالقتل ــ شرح لهم فرانسيسكو ــ، لكن رجلا الأمن تدخلا وأخرجاني بالقوة من المستشفى، هذا كل ما في الأمر.
ـ أنا أظن أنهم دسّوا شيئا في طعامنا ــ شكّت لوْرا ــ، لهذا قال النادل لكما أنكما ستدفعان الثمن قريبا جدّا.
ـ لا أظن ذلك ــ قال إكناصيو ــ، وتفاديا للشك سوف آخذ طبق فرانسيسكو وأعطيه طبقي، بينما سوف يأخذ خايمي طبق إلِينا، اتفقنا ؟
ـ اتفقنا ــ قبل خايمي ــ.
ـ لماذا نلعب هذه اللعبة الخطرة ؟ ــ قالت لوْرا ــ.
ـ لا تخافي، فأنا متأكد أنهم لم يدسّوا أي شيء في الطعام ــ حاول إكناصيو طمأنة لوْرا ــ، وغدا سوف نتأكد من هذا الأمر مائة بالمائة إذا ما أصابنا أمر ما، مفهوم ؟
ـ حسنا، كما ترى، لكن يجب أن تتحمّل النتائج ــ أضافت لوْرا ــ.
ـ نعم، نعم، والآن كولي في سلام كما قال لنا إميليو ــ قال إكناصيو بكل ثقة ــ.
ـ يا أصدقاء ! هناك أمر مهم ــ نبست لوْرا ــ.
ـ ما هو ؟ سألها إكناصيو ــ.
ـ هذا كل ما سنأكله اليوم ــ أجابت لوْرا ــ، ومن هنا سنتوجّه مباشرة إلى مسكننا تفاديا لأية شكوك، موافقون ؟
ـ موافقون، سنستلقي مباشرة في السرير إلى غاية اليوم التالي ــ ختم إكناصيو حديثة ضاحكا ــ.

• • • • • •

كانت الساعة تشير إلى السابعة من اليوم التالي، وقد استيقظ خايمي ولوْرا باكرا، وبينما كانا يشربان عصير الإجاص الذي وجداه فوق المائدة، سمعا إلِينا تصرخ فتوجّه الأصدقاء بسرعة نحو الحمّام مصدر الصوت، وعند دخولهم إلى هناك اندهشوا من هول ما رأوه حيث صار وجه إلِينا كوجه القردة:

ـ ما الذي حدث لوجهها ؟ ــ تساءل إكناصيو مندهشا ــ.
ـ شيء لا يصدق، لكنها الحقيقة ــ علّق خايمي ــ.
ـ ماذا سنفعل الآن ؟ ــ تمتمت لوْرا ــ.

في تلك اللحظة ولج فرانسيسكو إلى الحمّام حيث استيقظ بسبب الصراخ، وبمجرّد أن رآه أصدقاؤه زادت دهشتهم لأن يديه صارتا شبيهة بأيدي القردة، لكن فرانسيسكو كان مصدوما من الحالة التي صارت عليها خطيبته أكثر من صدمته مما حصل ليديه.

ـ ما الذي حدث لكِ يا حبيبتي ؟ ــ سألها فرانسيسكو ــ.

ـ وأنتَ هل رأيت يديك ؟ ــ قال له إكناصيو ــ.
ـ نعم، إنه عقاب من الآخرين كما أخبرنا النادل إميليو البارحة ــ ردّ فرانسيسكو ــ.
ـ كلّ هذا حدث بسبب طعام البارحة ــ عبّرت لوْرا بخوف ــ.

ـ لا، ألا تري أنه لم يحدث لي ولا لخايمي أي شيء بالرغم من تناول نفس الطعام ــ قال إكناصيو ــ، لكنني متأكد أن هناك تفسير آخر، فلا بد أن هناك سببا آخر لهذه التشوهات، هناك أمر يجب أن نعرفه اليوم قبل الغد دون تضييع المزيد من الوقت.
ـ لكن من الذي يتسبب لنا في كل هذا ؟ وكيف ؟ ــ تساءل خايمي ــ.
ـ إنهم الأشخاص الذين يستطيعون الدخول إلى هذا المسكن ــ ردّ إكناصيو ــ، ألم تلاحظوا أنه للعديد من المرّات وجدنا المشروبات فوق المائدة كما حدث اليوم. إذن هناك سرّ في هذا المسكن يجب أن نكتشفه، فأنا متأكد أنه في كل الغرف شيء غير عادي، هيّا لنبحث بكل دقّة ! لنبدأ بغرفة فرانسيسكو وإلينا أوّلا !
ـ حاضر، هيّا بسرعة ! ــ قال لهم خايمي ــ.

بهذا الشكل توجّه كلّ الأصدقاء إلى تلك الغرفة وبدأوا في البحث في كلّ الأماكن والجهات بما في ذلك الجدران على أمل أن يجدوا شيئا يرشدهم إلى حلّ لغز تلك المدينة. لقد كان إكناصيو يمتلك التجربة بالحكم إلى عمله كمحقق خاص واعتياده على إيجاد حلّ لحالات معقّدة جدّا وإن لم تكن حالات فوق العادة.

وحينذاك اقتراب إكناصيو من الحائط القريب من السرير ناظرا إلى الصورة المعلّقة لحصان أسود اللون، ثم قام بنزعها ليجد غطاء صغير الحجم، مستدير الشكل بخمس ثقب صغيرة، إذ لم يتردّد ولو

ثانية في إزالة ذلك الغطاء الأبيض اللون، وبإزالته توصّل إلى أنه غطاء أنبوب بلاستيكي بداخل الجدار، وقال مخاطبا أصدقاءه:

ـ هل رأيتم ما الذي وجدته ؟ كما قلت دائما هناك شيء مخبّأ بشكل سري، لكن فقط ينبغي البحث عنه لإيجاده.

كان البقية ينظرون باندهاش قبل أن ينطق خايمي قائلا:

ـ لكن لأي شيء يصلح هذا الأنبوب ؟
ـ أجل، ما هي الغاية من وضعه هنا ؟ ــ تساءل فرانسيسكو ــ.
ـ الآن لا أعرف ــ أجاب إكناصيو ــ، لكنني متأكد أنه يصلح لشيء مهم، وهذا ما سنكتشفه أنا وخايمي في قاعة السينما.
ـ في السينما ؟ ــ تعجّبت لوْرا ــ.
ـ لماذا هناك ؟ ــ سأل خايمي إكناصيو ــ.
ـ إنه مجرّد حدس يا أصدقاء ــ أجاب إكناصيو ــ.
ـ إذن هيّا بنا إلى هناك ــ صاح خايمي ــ.
ـ هيّا بنا، وأنتم ابقوا هنا حتى نعود، مفهوم ؟ ــ قال إكناصيو ــ.
ـ حاضر، كونا حذرين ــ قال لهما فرانسيسكو ــ.
ـ إلى اللقاء ! ــ ختم خايمي كلامه ــ.

● ● ● ● ● ●

ذهب إكناصيو وخايمي إلى هدفهما بسرعة إلى أن وصلا إلى قاعة السينما ودخلا إلى هناك ليقتربا من مكتب الاستقبال حيث كان هناك رجل بزي بنفسجي مكتوب اسمه ببطاقة، حيث انتبه إكناصيو إلى اسمه قبل أن يخاطب ذلك الرجل قائلا:

ـ مرحبا يا سيد... ألِخانْدْرو ! إننا نريد مشاهدة فيلم ما.
ـ كم وحدة نحتاج لشراء تذكرة في هذه المدينة ؟ ــ سأل خايمي ــ.
ـ هنا لا نقبل البطاقة الحيويّة ــ أجاب ألخانْدْرو ــ.
ـ لا تقل أنه يجب علينا التبرع بالدم ــ قال خايمي ــ.
ـ لا يا سيدي ! هذا معمول به فقط في الصيدلية، أما هنا فيجب على كل واحد منكما أن يقول لي اسم اختراع، أو بشكل أدق أن يقول فكرة اختراع غير موجود في مدينتنا، هل فهمتما ؟
ـ نعم، نعم فهمنا.

فكّر خايمي لثوان قبل أن يتكلّم:

ـ التلفزة !
ـ لا، إننا نمتلك واحدة كبيرة الحجم ستشاهدون فيها الفيلم في حالة إذا ما توصلتم إلى تسمية اختراعين اثنين لا يوجدان في هذه المدينة، اتّفقنا ؟

فكّر خايمي مجدّدا لبرهة من الزمن قبل أن يضيف مبتسما:

ـ الصاروخ !
ـ ما هو الصاروخ ؟ ــ سأل ألخاندرو خايمي ــ.
ـ إنها مركبة فضائية قادرة على الطيران خارج مجال الأرض لتصل إلى القمر على سبيل المثال.
ـ ما هو القمر ؟
ـ لا تقل لي أنك لا تعرفه، إنه الكوكب الذي نستطيع رؤيته في السماء.
ـ آ ! نحن نسميه الكوكب الأصلي ــ وضّح ألخاندرو ــ.
ـ لماذا تسمونه بهذا الاسم ؟ ــ سأل خايمي باندهاش ــ.
ـ لأنه مصدر الحياة بالنسبة للأرض ــ قال ألخاندرو ــ.

ظل إكناصيو صامتا يستمع إلى الحوار الذي دار بين ألخاندرو وصديقه خايمي.

ـ يا له من أمر عجيب ! ــ تعجّب خايمي ــ.

آنذاك دوّن ألخاندرو المعلومة حول الصاروخ، ثم أضاف قائلا:

ـ إني أقبل هذا الاختراع بالرغم من أننا نمتلك شيئا شبيها به لكن أكثر تطوّرا من الصاروخ.
ـ أكثر تطوّرا، ما هو هذا الشيء ؟
ـ لا أستطيع قول المزيد، إنه سرّ عسكري ــ رفض ألخاندرو ــ.
ـ يا للغرابة ! هنا أيضا تتحدثون عن الأسرار ــ علّق إكناصيو ــ.

ـ الآن حان دورك لتقول اختراعا ما ــ خاطب ألخاندرو إكناصيو ــ.

فكّر إكناصيو لثوان ناظرا حوله قبل أن يقول بكل ثقة:

ـ الصّحون الطائرة !
ـ ما هي هذه الأشياء ؟
ـ إنها مركبات فضائية نستطيع رؤيتها من الأرض لكنّها مجهولة المصدر.
ـ ها ! إنها لأصدقائنا من القمر، لكن حذار أن تقولا شيئا لأحد ما وإلا لن تعودا أبدا من حيث أتيتما، مفهوم ؟
ـ أجل.
ـ إذن ينبغي أن تقول لي اختراعا آخر لتحصل على تذكرتك.
ـ الهاتف النقّال.
ـ ما هو هذا الشيء ؟ ولأي شيء يصلح ؟
ـ إنه هاتف محمول، بواسطته تستطيع الحديث مع شخص آخر يوجد في مكان آخر بعيد جدّا.
ـ إنه شيء جميل ! ــ قال ألخاندرو ــ، إني أقبل الإجابة بالرغم من أننا نتوفر على شيء أكثر تطوّرا من الهاتف.
ـ ما هو هذا الاختراع الأكثر تطوّرا من الهاتف ؟ ــ تدخل خايمي ــ.
ـ خذا تذكرتكما وحظ سعيد لكما ! ــ أنهى ألخاندرو كلامه ــ.
ـ شكرا لك يا سيد ألخاندرو ــ قال إكناصيو ــ.

هكذا ولج الاثنان قاعة السينما وجلسا في المقعد قبل الأخير لأنهم لم يريدا الجلوس في الصفوف الأمامية، وفي ذلك الوقت لم يكن هناك كثير من الناس. وخلال دقائق بدأ عرض فيلم من فترة الستينات، وفي تلك الآونة وبالجانب الأيمن لإكناصيو جلس رجل قصير القامة طوله متر وأربعون سنتيمترا، كان سمينا شيئا ما، يرتدي بذلة سوداء ونظارات مستديرة الشكل من نفس اللون، ثم بادر إلى الحديث مع إكناصيو بصوت منخفض:

ـ مرحبا يا إكناصيو ! اسمي كاسْتون، لا تنظر إلي وتحدث معي لكن تابع مشاهدة الفيلم.
ـ من أنتَ ؟ وكيف عرفتَ اسمي ؟ ــ سأله إكناصيو ــ.
ـ أنا هنا من أجل مساعدتكما، فأنا صديق رفيقكم روبِن ــ أجاب كاسْتون ــ.
ـ كيف يمكنني أن أثق فيك إذا لم أكن أثق في روبِن نفسه ؟
ـ يجب أن تثق بي فلا خيار آخر لديكم للخروج من هذه المدينة كما تعلمون ــ أضاف كاسْتون ــ.
ـ حسنا، سوف أختبرك لأعرف حقيقة ما إذا كنت صديقا أو واحدا من الآخرين ــ قال إكناصيو ــ، أخبرني لأي غرض تم دفن الأنابيب في جدران في الشقة التي نقيم بها حاليا ؟
ـ إن تلك الأنابيب تسهل سريان غاز خاص في الغرف ــ أجاب كاستون ــ.

أدار إكناصيو رأسه مصدوما نحو اليمين كردّة فعل غير إرادية، فأمره كاستون قائلا:

ـ تابع مشاهدة الفيلم ولا تدِر رأسك مجدّدا حتى لا تثير انتباه الآخرين وإلا عرفوا أننا نتحدث، اتفقنا ؟
ـ حاضر.

كان خايمي يسمع الحوار مصدوما.

ـ لكن ما الذي سبب التشوهات لدى أصدقائي ؟ ــ سأل إكناصيو ــ.
ـ لقد تم حقنهم بمواد مصنوعة من طرف مخلوقات أكثر تطورا من البشر، إنها تجارب على الجنس البشري، لكن لا تحاول قول هذا لأشخاص آخرين إذا ما تمكنتم من الخروج من هذه المدينة، هل تستطيعون وعدي بهذا الأمر ؟ ــ قال كاستون ــ.
ـ إن ما قلته غريب ! لكن أعدك بذلك ــ ردّ إكناصيو ــ.
ـ هيّا اسأله كيف يمكن إنقاذ صديقينا ــ تدخل خايمي ــ.
ـ أوّلا يجب إخراج مارْطا ابنة السيد روبِن من المستشفى ــ قال كاسْتون ــ، فاليوم علمت أنه بالإمكان التبرع بالدم من طرف ثلاثة أشخاص مقابل إخراجها من مستشفى الفتيات، هل أنتم موافقون ؟
ـ أجل موافقون، لكن كيف ستساعد صديقينا ؟ ــ سأله إكناصيو ــ.
ـ هذه الليلة سوف أعطي للسيد روبِن الدواء، وبإمكانهم استعماله مرّة واحدة قبل تناول العشاء، هل الأمر واضح ؟ ــ وضّح كاستون ــ.

ـ وكيف يمكننا أن نثق بك ؟ وماذا إذا كنت واحدا منهم ؟ ــ قال له إكناصيو ــ.
ـ دائما يجب المخاطرة لنيل شيء ثمين، أليس كذلك ؟ ــ عبّر كاستون ــ.
ـ نعم، أنت على صواب.
ـ هناك شيء آخر أظن أنكم تعرفونه ــ أضاف كاستون ــ.
ـ ما هو ؟
ـ الآخرون بإمكانهم معرفة نوايانا عندما تقررون الفرار من هنا، وكل ذلك عن طريق التخاطر والنظر إلى صورنا الشمسية التي من المحتمل جدا أن يكونوا قد حصلوا عليها ــ صرّح كاستون ــ.
ـ بماذا يمكننا القيام اتجاه هذا الأمر ؟ ــ سأله إكناصيو ــ.
ـ أنا سوف أتكلّف بهذا الأمر، وفيما بعد سوف يشرح لكم روبِن كلّ التفاصيل، اتفقنا ؟
ـ اتفقنا.
ـ إذن قد تم الاتفاق.
ـ أعتقد كذلك.
ـ حسنا، الآن سوف أترككم تشاهدون الفيلم، وداعا ! ــ أنهى كاستون حديثه ــ.
ـ شكرا على كل شيء ــ شكره إكناصيو ــ.

وعند انتهاء الفيلم غادر الاثنان قاعة السينما، ثم اقترب خايمي وإكناصيو من ألخاندرو الذي يبيع التذاكر لسؤاله:

ـ مرحبا، هل يمكنك أن تخبرنا حول اختراع للمدينة المتاهة ؟

نظر ألخاندرو إلى إكناصيو ضاحكا وقال:

ـ طبعا أستطيع، لكن لا تخبرا أي شخص، إذ هناك جهاز يسبب تبخر البنزين عندما يتم تقريبه من اختراعكم.
ـ أكيد أنك تقصد بقولك السيّارات...
ـ طبعا.
ـ لنرحل من هنا ! أمر خايمي صديقه ــ.
ـ إلى اللقاء ! ــ ختم ألخاندرو كلامه ــ.
ـ وداعا ! ــ ردّ خايمي ــ.

ابتعد الصديقان حوالي عشر خطوات من المكان الذي يتواجد فيه ألخاندرو، ثم نطق إكناصيو قائلا:

ـ على الأقل الآن نعرف ما جرى لسيّارتنا عندما وصلنا إلى ملتقى الطرق ذلك اليوم، شيء لا يصدق.
ـ الآن يجب أن نعبئ جهودنا في تنفيذ ما قاله لنا ذلك الرجل القصير كاسْتون، موافق ؟ ــ قال خايمي ــ.
ـ تحت أمرك يا رئيس ! ــ ختم إكناصيو حديثه مبتسما ــ.

● ● ● ● ● ●

عند وصول خايمي وإكناصيو إلى الشقة وجدا بقية الأصدقاء جالسون في البهو مع السيدة راكيل والدموع على خدّها، إذ كانوا يتحدثون عن حالة ابنتها المحتجزة بمستشفى الفتيات، وبمجرّد رؤيتهما انهالت عليهما الأسئلة:

ـ هل هناك من جديد ؟ ــ سأل فرانسيسكو ــ، أتمنى أن يكون قد تبين لكما أمرا ما.
ـ هل عرفتم شيئا جديدا يمكنه مساعدتنا ؟ ــ سألت لوْرا ــ.

بينما عبّرت إلينا الحزينة قائلة:

ـ أتمنى أن نخرج من هذه الوضعية سريعا وأن نجد حلا لكل هذه المشاكل، إنني لا أتحمّل النظر إلى المرآة.

حينذاك أعلن إكناصيو عن المستجدات قائلا:

ـ لدينا خبر جميل سوف نكشف عنه فيما بعد، ففي الوقت الحالي يجب أن نخرج مارطا ابنة راكيل من المستشفى.
ـ ما الذي تقوله ؟ هل هذا صحيح ؟ ــ سألته راكيل ــ.
ـ نعم ــ أكّد لها خايمي ــ.
ـ لكن من الذي أخبركما حول ابنتي ؟ ــ سألت راكيل ــ.
ـ هيّا بنا إلى المستشفى، سوف نشرح لكِ في الطريق ــ قال لها إكناصيو ــ.

ـ حاضر كما تريدون ــ قبلت راكيل ــ.
ـ حظ سعيد يا راكيل ! ــ قالت لوْرا بلطف ــ.
ـ شكرا، إلى اللقاء ! ــ ردّت راكيل ــ.
ـ إلى اللقاء ! ــ ختم فرانسيسكو الحديث ــ.

● ● ● ● ● ●

حلّ الليل، كلّ الأصدقاء كانوا في البهو باستثناء السيد روبِن الذي لم يصل بعد، وعلى العكس من ذلك كان قد وصل البقية الذين جاءوا من المطعم حيث تناولوا العشاء. وبعد ربع ساعة من ذلك سمعوا صوت المفتاح الذي أدار قفل الباب، لقد كان السيد روبِن الذي توجّه مباشرة إلى البهو على أمل رؤية ابنته التي كانت جالسة بجانب أمّها، إذ كانت تبلغ أربعة عشر سنة، ووجهها كان مشوّها، فقام روبِن بضمها بين ذراعيه بحنان لثوان قبل أن يتكلّم وهو منفعل قائلا:

ـ شكرا على ثقتكم في صديقي كاستون، كما أشكركم على إخراجكم لابنتي مارْطا من المستشفى.
ـ لا داعي للشكر، فقد كان عليك أن تثق بنا منذ البداية، لكن ليس لدينا وقت لمناقشة هذا الموضوع ــ قال خايمي ــ، لكن هل أحضرت الدواء ؟
ـ نعم، إنه في جيبي.

أخرج روبِن الدواء من جيبه فورا ثم أضاف قائلا:

ـ يجب أن تأخذوا قرصا واحدا بعد العشاء، وأتمنى أن يكون فعّالا، فهل تناولتم العشاء ؟
ـ نعم ــ ردّ البقية ــ.

ثم خاطب كلا من إلينا وفرنسيسكو وابنته قائلا:

ـ أنتم الثلاثة تناولوا قرصا واحدا في الحال.

هكذا تناول الثلاثة القرص على الفور.

ـ والآن ماذا ؟
ـ سوف ننتظر حتى الغد لنرى النتيجة، وآنذاك نستطيع الرحيل من هنا، لكن غدا يجب علينا جميعا أن نتناول أقراصا أخرى كل ست ساعات وذلك بوضعه تحت اللسان، فلا تنسوا أنه من الضروري كل ست ساعات ــ وضّح لهم روبِن ــ.
ـ لكن ما هو الهدف من تناول هذا القرص ؟ ــ سأله فرانسيسكو ــ.
ـ كي لا يعرف بعض أعضاء هذه المدينة بفرارنا وذلك عن طريق التخاطر، مفهوم ؟ ــ وضّح روبِن ــ.
ـ نعم، هذا ما أخبرنا به صديقك كاستون ــ تدخل خايمي ــ.

ـ أجل، إني أتذكر عندما وضحت لنا السيدة طِريزا اختلاف الوقت في هذه المدينة وذلك بالاتصال هاتفيا بشخص لديه هبة التخاطر ــ تذّكّر فرانسيسكو ــ.
ـ إذن سيرجع وجهي لحالته الطبيعية ــ استنتجت إلينا ــ.
ـ أنا أيضا سوف أصبح شخصا عاديا ــ قالت مارطا لامسة وجهها ــ.
ـ هذا ما أتمناه، غدا سوف نعرف ــ قال روبِن ــ، الآن يجب أن ننام كي نكون مستعدين غدا في الصباح الباكر لتنفيذ خطتنا، اتفقنا ؟
ـ إنه على صواب، هيّا بنا لننام ــ نطق إكناصيو ــ.
ـ ليلة سعيدة للجميع ! ــ قالت مارطا بحنان ــ.
ـ استريحي يا عزيزتي ! ردّت عليها لوْرا ــ.

بذلك انصرف الجميع للنوم على أمل انتهاء ذلك الحلم المزعج قريبا جدّا.

• • • • • •

الساعة تشير إلى السادسة ونصف صباحا، كان روبِن أول من استيقظ ، وكانت ابنته قريبة جدّا منه، كما كانت بجانب أمها راكيل لأن الفتاة مارطا كانت ترقد وسط سرير والديها، ابتسم روبِن عندما رأى وجه ابنته صار عاديا فرسم قبلة على خدّها. وعندما استيقظت مارطا كان أول ما قالته رائعا، لأن وجهها كان كذلك رائعا ذا جمال ملائكي:

ـ شكرا لك يا أبي، إني أراك فرحا لرؤيتكَ لوجهي الذي عاد جماله من جديد.
ـ شكرا لله، لكن أيقظي والدتكِ، إذ يجب علينا الرحيل من هذه المدينة الملعونة ــ همس روبِن في أذن مارطا ــ.
ـ حاضر ــ قالت مارطا ــ.

آنذاك توجّه روبِن إلى غرفة فرانسيسكو وإلينا وطرق الباب، فاستيقظا في الحال، فبادر فرانسيسكو للحديث مع خطيبته قائلا:

ـ شيء رائع يا حبيبتي أن أرى وجهك الطبيعي من جديد ! وأخيرا يمكننا مغادرة هذه المدينة، أظن أن أحدهم يطرق الباب.
ـ أنتَ أيضا يمكنك لمسي بيديك الحلوة يا حبّي ــ قالت له إلِينا بحنان ــ.
ـ معذرة، سوف أرى من الطارق ــ أضاف فرانسيسكو ــ.

عند فتحه للباب وجد السيد روبِن يكاد يطير من الفرح.
ـ صباح الخير ! كيف حال ابنتك ؟ ــ قال فرانسيسكو ــ.
ـ إنها بخير، وزوجتك ؟
ـ إنها بخير، كلّنا عدنا إلى حالتنا الطبيعية.
ـ هيّا أيقظ أصدقاءك ! سوف نرحل من هنا، فليس لدينا وقت نضيّعه، يجب أن نغتنم الفرصة.
ـ حاضر، في الحال.

هكذا، استيقظ الآخرون وتناولوا أقراصا ضد التخاطر، ثم خرج الجميع من الشقة وهبطوا عبر السلالم بهدوء، لكن عند وصولهم للأسفل كانت العجوز طِريزا في انتظارهم بمكتب الاستقبال وبيدها حقيبة، فبادرت إلى الكلام قائلة بصوت منخفض:

ـ لا تخافوا ! ففي الحقيبة بعض الأكل من أجل سفركم.
ـ كيف علمت برحيلنا ؟ ــ سألها روبِن ــ.
ـ إني صديقة كاستون، والآن تعرفون سرّا آخر، ولديّ شيء آخر من أجلكم.

أخرجت السيدة طِريزا قارورتين من البلاستيك صغيرتين بحجم أصبع السبابة، حيث كانتا مملوءتان بشيء شبيه بالماء لأنه لا لون ولا رائحة له.

ـ ما هذا ؟ ــ سألها خايمي ــ.
ـ إنه شيء شبيه بالبنزين سوف يساعدكم في الرجوع إلى مدينتكم من حيث أتيتم، وذلك عندما تصلون إلى المكان حيث تركتم السيّارة والدراجة النارية ــ أجابت طِريزا ــ.

أخذ خايمي القارورتين وخبّأهما في جيبه، ثم قال:

ـ شكرا لكِ على كلّ شيء.

ـ لا شكرا على واجب يا صديقي، أتمنى أن أراكم من جديد عما قريب، لكن في العاصمة مدريد وليس في هذه المدينة ــ ردّت طِريزا مبتسمة ــ.
ـ وداعا يا طِريزا ! ــ قال الآخرون وانصرفوا ــ.
ـ وداعا وحظا سعيدا يا شباب ! ــ ختمت طِريزا حديثها ــ.

• • • • • •

هكذا تابع الأصدقاء السبعة رحلة العودة إلى مدينة مدريد بكل ما أوتوا من قوّة، وشجاعة، ومثابرة وصبر، دون أن ينسوا وضع ذلك القرص تحت اللسان كلّ ست ساعات. وعلى نفس الحال قضوا يومان ونصف يوم مع سويعات من الراحة من أجل النوم، والأكل والشرب، إلى غاية أن وصلوا إلى ذلك ملتقى الطرق حيث تركوا السيّارة والدرّاجة النارية.

ففي ذلك المكان أخرج خايمي تلك القارورتان الصغيرتان اللتان منحتهما إياه العجوز طِريزا، إذ أفرغ محتوى إحداهما في خزّان البنزين لسيّارته، بينما أعطى القارورة الثانية إلى السيد روبِن ليفرغ محتواها في خزّان البنزين لدرّاجته النارية. بعد ذلك صعد خايمي إلى السيّارة وشغّل المحرّك بسهولة، حيث أشارت الإبرة إلى أن الخزان مملوء بكامله، مما جعل الجميع يتعجّب من فعالية ذلك السائل العجيب المجهول. كما قام السيد روبِن بتشغيل درّاجته النارية بسرعة لم يكن يتوقعها.

ـ هذا رائع ! ــ قال روبِن ــ، الدراجة مملوءة بالبنزين.
ـ حسنا يا روبِن، من الأفضل أن تركب ابنتك معنا في السيّارة ــ قال خايمي ــ.
ـ حاضر، كما تشاء.
ـ إذن، هيّا بنا نحو هدفنا ــ أضاف خايمي ــ.
ـ تحت أوامرك يا رئيس ! ــ قال روبِن مبتسما ــ.

حينذاك صاح الآخرون بحماس:

ـ هيّا بنا إلى مدريد !

النهاية

الفهرس

إهـــــــــــــــــداء 3

تقديم 4

الفصل الأول: حفلة نهاية السنة الدراسية. 5

الفصل الثاني: الطريق الشائك نحو المدينة المتاهة.....51

الفصل الثالث: الحياة الجهنميّة في المدينة المتاهة. 145

الفهرس 230